الرسالة ٢٤٥

النزعة القصصية في الأدب العربي
حتى القرن الرابع الهجري
(دراسة في النشأة والتطور والموقف النقدي من القص)

د. محمد خير شيخ موسى
قسم اللغة العربية - كلية التربية الأساسية
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
دولة الكويت

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية السادسة والعشرون - ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

المؤلف:

د. محمد خير شيخ موسى

- دكتوراه في النقد الأدبي بمرتبة الشرف من جامعة دمشق ١٩٩٢.
- أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية - كلية التربية الأساسية - الكويت.

الإنتاج العلمي:

أولاً - الكتب:

١ - فصول في النقد العربي وقضاياه: دار الثقافة - الدار البيضاء ـ المغرب ١٩٨٣.

٢ - فن القصة (دراسة نظرية وتطبيقية): دار الثقافة - الدار البيضاء ـ المغرب ١٩٨٤.

٣ - نظرية الأنواع الأدبية في النقد العربي: دار الترجمة - الكويت ـ ١٩٩٥.

٤ - النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة): دار ابن كثير - الكويت ـ ١٩٩٧.

ثانياً - الأبحاث:

١ - مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني وآثاره: التراث العربي - دمشق - ع ٧ - س١٩٨٢- ص ١٧٣-١٩٤.

٢ - مقدمة في النقد التوثيقي عند العرب: مجلة المعرفة - دمشق - ع ٢٥٦ - س١٩٨٣ - ص٧-٤٧.

٣ - الطير والحيوان في الشعر العربي: المناهل - الرباط - ع ٣٠ - س١٩٨٤- ص١٧٣-٢١٩.

٤ - أبو الفرج الأصفهاني أديب مشهور ومغمور: عالم الفكر - الكويت - ع١ - س١٩٨٤ - ص٢٥٩-٢٩٣.

٥ - المعيار الديني والأخلاقي في النقد العربي: نهج الإسلام - دمشق - ع ٢٨ ثم ٢٩-١٩٨٧.

٦ - ديوان العرب كتاب الأغاني: مجلة جامعة دمشق - الأعداد ٢٥ إلى ٢٩- س١٩٩١ و١٩٩٢.

٧ - فن الترجمة في النقد العربي: كتاب علامات في النقد - جدة - ع١٥ - س ١٩٩٣- ص١٩٧-٢٢٥.

٨ - توثيق النصوص النثرية في النقد العربي: مجلة العلوم الإنسانية - جامعة الإمارات العربية المتحدة - العين - مج ١١ -ع١- س١٩٩٥ - ص ١٢٠ -١٦٣.

٩ - حركة التأليف في الكتابة والكتّاب عند العرب: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد ٧٢-ع٣- س١٩٩٧ - ص٤٨٠-٥٢٦.

المحتوى

الملخـص والتقـديم

تعد القصة من أبرز الفنون النثرية وأوسعها انتشاراً في تراث العرب الأدبي؛ فقد عرفوا هذا الفن، وأغرموا به منذ العصر الجاهلي، ووصلت إلينا بعض قصصهم الشفوية المروية عن طريق عبيد بن شرية وغيره من قدماء الأخباريين والرواة والمؤلفين، كما اشتمل القرآن الكريم على عدد كثير من القصص التي كان لها أثر كبير في نشأة طبقة القصاص والمذكرين، قبل أن يشرع العرب في ترجمة تراث واسع جداً من القصص الهندي والرومي والفارسي التي كان لها ظاهر الأثر في تطور القصص المولدة منذ مطلع العصر العباسي، وبرع في تأليفها عدد غير قليل من كبار أدباء ذلك العصر وكتابه الذين خلفوا لنا تراثاً ضخماً في ميدان الفن القصصي قبل أن تظهر المقامات في أواخر القرن الرابع الهجري، وتصبح الفن القصصي الأثير لدى كثير من الكتاب والمؤلفين منذ ذلك الحين.

ولم يكن النقد العربي القديم بمنأى عن هذا الفن أو بمعزل عن مقاربته؛ إذ كان لكثير من النقاد والمؤلفين آراء نافذة ودقيقة في أصوله وقواعده ووظيفته وأساليبه، وعلى رأسهم كتاب هذه القصص أنفسهم كما تدل على ذلك مقدمات مؤلفاتهم القصصية خاصة، وآراؤهم النقدية المبثوثة في ثنايا كتبهم الأخرى، وآراء غيرهم من النقاد الذين أولوا هذا الفن القصصي وأربابه قسطاً من اهتمامهم النقدي وعنايتهم، وحاول هذا البحث رصد هذه الآراء النقدية خاصة في أثناء تتبعه لاتجاهات القصة العربية القديمة حتى أواخر القرن الرابع الهجري.

وقد تناول البحث هذه الجوانب المتصلة بنشأة القصة العربية القديمة وتطورها، منذ أن كانت قصة شفوية مروية عن أهل الجاهلية، إلى أن أصبحت قصة مدونة وفنية اختص بها أو شارك في تأليفها عدد كبير جداً من الكتاب والمؤلفين في العصر العباسي. كما شارك في نقدها وإبداء الرأي فيها عدد غير قليل من النقاد العرب القدماء الذين أولينا آراءهم النقدية في الفن القصصي قسطاً وافراً من الاهتمام في هذا البحث. والله ولي الأمر والتدبير.

القصص والحكايات في الجاهلية

للعرب – كغيرهم من الشعوب – قصص وحكايات وأسمار، يقطّعون بها أوقات فراغهم، ويقصّرون لياليهم الطويلة في صحرائهم، ويستمدون أصولها من أخبار أيامهم ووقائعهم، وسير ملوكهم وأبطالهم، وأحاديث صعاليكهم وعشاقهم، ومشاهداتهم في رحلاتهم وأسفارهم، ومما يطلعون عليه من كتب دينية وغيرها، أو مما هو سائر بين الأمم من خرافات وأساطير، ينطقون ببعضها على ألسن الحيوان، ويضمنونها العبر والحكم والمواعظ، فيتأدبون بها، ويحفظونها ويروونها، ويتناقلونها جيلاً بعد جيل، ويقصدونَ بها ملوكهم، فيجدون عندهم الحظوة والقبول، فروى صاحب الأغاني "أن الحارث بن مارية الغساني الجفني كان مكرماً لزهير بن جناب الكلبي، ينادمه ويحدثه، فقدم على الملك رجلان من بني نهد، عندهما حديث من أحاديث العرب، فاجتباهما الملك، ونزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زهير... فلم يزل به حتى أوغر صدره.. فقتلهما"(١)

وكان أهل الجاهلية مشغوفين بالقصص والأحاديث، فاختص بها عدد منهم، ولم يكتفوا بما كان عندهم منها، فتعلموا بعضها من الأمم المجاورة، ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي (٢هـ)، وكان قد سافر في البلاد كأبيه، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها، وعاشر الأحبار والكهنة، واشتغل وحصّل من العلوم القديمة أشياء جليلة(٢)، وكانت القصص والأخبار والأحاديث من جملة ما تعلم في الحيرة، فذكر صاحب السيرة أنه "كان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم وإسبنديار، فكان إذا جلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مجلساً.... خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلي، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وإسبنديار... وكان ابن عباس – رضي الله عنه – يقول: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾(٣) وكل ما ذكر

فيه من الأساطير في القرآن[٤] ومن هذه الآيات قوله – عز وجل –: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾[٥] وفيها ما يدل على أنهم كانوا يكتبون بعض القصص والأحاديث، ويدونونها في صحف وقراطيس، وقد روى المعافي بن زكريا "عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: أصبت أنا وعلقمة صحيفة، فانطلقنا بها إلى ابن مسعود... فقلنا له: هذه صحيفة فيها حديث حسن، فقال: هاتها.... وجعل يمحوها بيده ويقول: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾[٦] فقلنا: انظر فيها فإن فيها حديثاً عجباً، فجعل يمحوها ويقول إن هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره، قال أبو عبيد: أرى أن هذه الصحيفة قد أخذت من بعض أهل الكتاب، فلهذا كرهها عبدالله"[٧].

وكانت التوراة أحد مصادر القصص عند العرب، فذكر الثعلبي (–٤٢٧ هـ) أن: "أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – اجتمعوا إلى سلمان الفارسي – رضي الله عنه – فقالوا: حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾[٨] يعني أن قصص القرآن أحسن مما في التوراة[٩] وقد ظل تأثير هذه القصص التوراتية قوياً عند المسلمين، وظهر أثرها واضحاً في كثير من كتب التفسير والتاريخ والأخبار كما هو معروف[١٠].

وعلى الرغم من كثرة قصص العرب في الجاهلية وتنوعها، فإنها لم تصل إلينا مدونة في إبانها، وإنما قام بتدوين ما كان يروى منها بعض الأخباريين والرواة، وضمنوها كتبهم التي تتحدث عن أخبار العرب وأيامهم وأنسابهم وأشعارهم، ولعل أقدمها ما ينسب إلى كعب الأحبار (–٣٢ هـ) من قصص وسير وأحاديث مثل: "سيرة الإسكندر وما فيها من العجائب والغرائب"[١١]، و"حديث ذي الكفل"[١٢] و"حديث حمامات الذهب"[١٣]، و"حديث إفراقيسون بنت الملك"[١٤]، وكتاب عبيد بن شرية الجرهمي (– نحو ٦٧ هـ) في "أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها[١٥]، وكتب وهب بن منبه (– نحو١١٠هـ) ككتاب "التيجان في ملوك حمير"[١٦]، و"كتاب المبتدأ"[١٧] و "قصص الأنبياء[١٨]، وغيرها من الكتب المدونة في زمن مبكر جداً، وأدرك بعض مؤلفيها الجاهلية، وروى بعضهم الآخر عن أهلها، وأصبحت هذه الكتب مصدراً

أساسياً لمن أتى بعدهم من المؤلفين، وسجلاً حافلاً لفجر القصة العربية، يمكن الاعتماد عليه من معرفة أنواعها ومضامينها ومصادرها وأساليب سردها ورواياتها[١٩]، وقد وصل إلينا عدد من هذه الكتب، وطبع بعضها، وما يزال بعضها الآخر مخطوطاً أو مفقوداً، وقام كثير من الرواة والمؤلفين بنقل معظم ما فيها من قصص العرب وأحاديثهم وضمنوها كتبهم الكثيرة في السير والأخبار والأدب وغيرها، ولا شك أن كثيراً منها كان عرضة للتغير والتبديل، وأن بعض الرواة والمؤلفين قد وضعوا بعض هذه القصص، وجروا فيها على سنن الصحيح وأساليبه، ومن هذه الكتب "كتاب السمر" و"أخبار الجن" و"الخراب واللصوص" للقيط المحاربي (- ١٩٠هـ)[٢٠]، وكتب أبي البختري (-٢٠٠هـ) ككتاب "طسم وجديس" و "الرايات" و "نسب ولد إسماعيل" الذي قال ابن النديم إنه: "يحتوي على قطعة من الأحاديث والقصص"[٢١] وكتب هشام بن الكلبي (- ٢٠٦هـ) الكثيرة التي أبدى فيها اهتماماً كبيراً بقصص العرب وأحاديثهم واتهم بنحل كثير منها ووضعه[٢٢]، ككتاب "الأصنام" و"حديث آدم"و"عاد" و"أخبار الجن" و"المنذر ملك العرب" و"داحس والغبراء" و"حديث بيهس وإخوته" و"كتاب الأيام" و"كتاب اليمن وأمر سيف"[٢٣] وغيرها، وكتب الهيثم بن عدي (-٢٠٧هـ) في "المثالب" و"هبوط آدم" و"السمير"[٢٤]، وكتب أبي عبيدة (- ٢١٠هـ) في "شرح النقائض" و"الغارات" و"لصوص العرب" و "قصة الكعبة" و"الضيفان" و"الأيام" و"خبر ابني بغيض"[٢٥] وغيرها من الكتب التي تشتمل على أقاصيص العرب وأحاديثهم، ووصل إلينا عدد منها، ومن أقدمها " أخبار ابن شرية" التي اشتمل "كتاب التيجان" لابن منبه على مجموعة كبيرة منها، ويدخل معظمها في باب الأسمار والأساطير، ومن ذلك ما رواه "عن عبيد بن شرية قال: حدثنا شيخ من أهل اليمن... وكان معمراً عالماً بملوك حمير: كان باليمن رجل من عاد بن قحطان... وكان جسوراً لا يهاب... فأتاه رجل فاتك من عبس، و آخر من خزاعة... فأتى بهما جبلاً وعليه غابة فيها ثعابين.. حتى بلغ باب كهف عظيم.. فسمعوا من داخل الكهف دوياً... فساروا فإذا حيات يصفرن... فبينما هو كذلك إذ برز إليه تنين أحمر العينين... فقتله ثم دخل الباب فإذا هو بدار عظيمة، وفيها بيت في وسطه سرير من ذهب، وعليه شيخ على رأسه تاج من ذهب... وعلى الحائط لوح مكتوب فيه: أنا شداد بن عاد.. من رآني فلا يثق بالزمان، وليكن على بيان، فإنه يحدث العز والهوان، فأخذ الدرّ والياقوت وخرج"[٢٦]، وهي قصة طويلة، تشتمل على أشعار مفتعلة

كثيرة، وتمثل بعض صور القصّ وغاياته وأساليبه في تلك الأزمنة المبكرة، شأنها في ذلك شأن قصص الجن وأحاديثها التي جمعها عدد من المؤلفين، ونقل إلينا الخرائطي (-٣٢٧هـ) طائفة منها في "هواتف الجنان"[٢٧] وتضمنت كتب السير والأخبار والأدب أطرافاً كثيرة منها ومن غيرها من قصص العرب وأسمارهم وخرافاتهم وأساطيرهم.

ولم يبد النقاد العرب اهتماماً خاصاً بهذه القصص والأسمار والأحاديث، فلم يتجاوز كثير منهم حدود روايتها وتدوينها، وتفسير غريبها، وبيان مقاصدها، وتمييز صحيحها من مفتعلها وموضوعها كما نجد في شرح النقائض، وحيوان الجاحظ، وأغاني أبي الفرج وغيرها من الكتب التي نقف فيها على كثير من قصص العرب وأساطيرهم وأسمارهم التي روى لنا الجاحظ صورة واضحة لأنواعها وموضوعاتها ومصادرها، فقال مخاطباً أحمد بن عبدالوهاب يسخر منه في رسالة التربيع والتدوير:

" حدثني كيف رأيت الطوفان ومتى كان سيل العرم... وما حبس غراب نوح... وأين عاد وثمود... وما قصة ابن صائد... ومن قيري وعيري، ومن جلندي، ومن أولاد السعالي... وما القول في هاروت وماروت... وخبرني عن الأمة التي مسخت ثم فقدت، وقصة عمرو بن لحي في العرب، وعن عناق بنت آدم، وعن مسيرة ومسرة، وعن ميثة وميثانة، وعن بهيا وطهيا.. وعن عنقاء مغرب وما أبوها وما أمها وهل خلقت لوحدها أم من ذكر وأنثى، ولم جعلوها عقيماً وجعلوها أنثى، وعن تدمر أهو لسليمان وأين ملك ذي القرنين من ملك سليمان... وأين كانت الزباء من ملكة سبأ، وأين كان لقيم من لقمان.. ومُذ كم نكحَ أساف نائلة، ومذ كم مُسخا في الكعبة.. وما تقول في صرع الشيطان، وتلون الغيلان.. وخبرني عن الشق، وعن واق واق، وعن النسناس.. وعن النميري صاحب الورقة.. وعن شقلون وعن أهرمن وعن كاوه.. وقد علمت – جعلت فداك – أن الخبر إذا صحّ أصله، وكان للناس علة في نشره، كان في الدلالة على الحق كالعيان.. إلا خبرك"[٢٨] مشيراً بذلك إلى ما في هذه الأخبار والأحاديث والقصص من افتعال وخيال، وقد كان للجاحظ وغيره آراء كثيرة في توثيقها وتمييزها من صحيح الأخبار.[٢٩]

وقد عمد كثير من الشعراء القدماء إلى نظم هذه القصص والحكايات شعراً،

ووقف النقاد على بعض الجوانب الفنية في هذه القصص الشعرية، فأبدى الحاتمي (-٣٨٨هـ) إعجابه بقدرة الأعشى ميمون بن قيس على نظم قصة وفاء السموءل وإيجازها بألفاظ سهلة، ومعان متسقة، وأحداث مؤتلفة من غير ما حشو أو خلل فقال: " أجمع علماء الشعر وأرباب الكلام أن أوجز شعر اقتصت فيه قصة، فورد منساق القصة، سهل الكلام، منسوق المعاني، واقعة كل كلمة منها موقعها الذي أريدت به، من غير حشو مختلف، ولا خلل شائن، قول الأعشى فيما اقتصه من خبر السموءل والأدرع التي أودع إياها امرؤ القيس، ووفاء السموءل بها، حتى يسلمها بعد وفاته إلى أهله، وبذل دونها نفس ولده حتى قتل صبراً بحضرته:

كن كالسموءلِ إذ طاف الهمامُ به ... في جحفلٍ كزهاء الليل جرّارِ
إذ سامهُ خطتي خسفٍ فقال له: ... قل ما تقله فإني سامعٌ حارِ
فقال: غدرٌ وثكلٌ أنت بينهما ... فاخترْ وما فيهما حظٌ لمختارِ
فشكَّ غير طويلٍ ثم قال لهُ: ... اقتل أسيرك إني مانعٌ جاري
فقال تقدِمةً إذ قام يقتله: ... أشرفْ سموءلُ فانظرْ للدم الجاري
أأقتل ابنك صبراً أو تجيء بها ... طوعاً، فأنكرَ هذا أيّ إنكارِ
واختار أدراعه ألا يسبّ بها ... ولم يكن عنده فيها بمختارِ

فانظر إلى قوله: أوتجيء بها، فأضمر الأدراع ثم أظهرها في قوله: واختار أدراعه... فتلافى ذلك الخلل بهذا الشرح، فاستغنى سامع هذه الأبيات عن سماع القصة فيها لاشتمالها على الخبر كله بأوجز كلام وأحسن سياقة "[٣٠] وواضح أن إعجابه بهذه القصة الشعرية يرتبط بما تجلى له فيها من إيجاز، وسهولة كلام واتساق، وبعد عن الحشو والخلل، وإضمار وإظهار، وفي ذلك تعبير عن النزعة البلاغية الظاهرة في نقد الحاتمي.

وكان إسحق بن وهب (نحو ٣٥٠هـ) قد أشار إلى أصالة هذه القصص وقيمتها عند العرب ودورها في تخليد مآثرهم وعلومهم وآدابهم فقال:" وكذلك جعلت القدماء أكثر آدابها، وما دونت من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت



ببعضه على ألسن الطير والوحش، وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها، حتى يتبين لسامعيها ما آلت اليه أحوال أهليها عند لزومهم الآداب او تصنعهم إياها، ولهذا قص الله علينا أقاصيص من تقدمنا، وقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾[٣١].

قصص القرآن الكريم وميزاتها وآراء النقاد فيها

اشتمل القرآن الكريم على أكثر من خمسين قصة[٣٢] من قصص الأنبياء، والصالحين، والمتجبرين، وغيرها من القصص التي ترمي إلى تحقيق عدة غايات متواشجة تتجلى في: تثبيت فؤاد النبي – صلى الله عليه وسلم – بما قص عليه ربه من أنباء الرسل مع أقوامهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[٣٣]، والتذكير والوعظ وتهذيب النفوس كما تدل على ذلك الآية الكريمة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٣٤]، والدعوة إلى التفكير بعواقب الأمور والاعتبار بمصائر الغابرين، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[٣٥]، وإشباع رغبة العرب والمسلمين في معرفة أخبار الأمم وقصص الماضين لشدة شغفهم بها، فذكر السيوطي في أسباب نزول سورة يوسف أنهم قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[٣٦]، كما نزلت بعض هذه القصص للرد على تحدي المشركين وبعض أهل الكتاب، وإثبات نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –، فقال السيوطي في أسباب نزول سورة الكهف: "بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود... فقالوا: سلوه عن ثلاثة، فإن أخبركم عنها فهو نبي مرسل: سلوه عن فتية في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح... فجاءه من الله سورة أصحاب الكهف "[٣٧].

ومن سمات الإعجاز في قصص القرآن الكريم أنها تعرض بطريقة فنية يتحقق فيها الإمتاع والتشويق والعبرة والإقناع في آن واحد، وقد فرق الله تعالى بينها وبين غيرها من القصص التي تعتمد على الخيال والافتعال، فقال في قصة أهل الكهف: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾[٣٨]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ

﴿ٱلْحَقِّ﴾[٣٩] من غير أن يعني ذلك أن التاريخ غاية هذه القصص؛ إذ ظلّت مقوماته الزمانية والمكانية مبهمة فيها، وفي ذلك آية من آيات الإعجاز القرآني، وإن كان كثير من المفسرين وغيرهم قد شغلوا أنفسهم بالبحث عن هذه المقومات التاريخية، واستعانوا على ذلك بالتوراة وغيرها وتوسعوا في هذه القصص وتزيدوا، فانصرفوا بذلك عن مقاصدها الحقيقية غاياتها[٤٠].

وقد سيقت هذه القصص بأسلوب حواري ممتع، وإيجاز معجز، فلم يتجاوز بعضها آية واحدة أو عدة آيات معدودات كقصة إبراهيم ونمرود، وقصة المعاند والقرية الخاوية، وقصة قابيل وهابيل[٤١] وطال بعضها الآخر فشمل سورة بأكملها أو أكثرها تقريباً كسورة يوسف، وسورة نوح، وسورة أصحاب الكهف[٤٢] وربما تكررت بعض القصص أو بعض أجزائها وأحداثها في عدة سور كقصة موسى التي تردد ذكرها في عدد من السور[٤٣] وكان لهذا التكرار ما يسوغه من مواضعه، وقد علله الجاحظ تعليلاً نقدياً يرتبط بأقدار المخاطبين، واختلاف أجناسهم ولغاتهم، وتباين مداركهم وأفهامهم، وحاجة كثير منهم إلى التذكير فقال: "وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله – عز وجل – ردد ذكر قصة موسى وهود وهارون وشعيب وإبراهيم ولوط وعاد وثمود.. لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم عيي غافل، أو معاند مشغول الفكر، ساهي القلب"[٤٤] وعده الرماني (–٣٨٦هـ) ضرباً من البيان العجيب، وأشار إلى أوجه الحكمة فيه فقال: " إن فيه بياناً عجيباً جاء في القرآن في غير قصة... لوجوهٍ من الحكمة ".[٤٥]

وقد أطال النقاد العرب، والعلماء الذين درسوا الإعجاز القرآني الوقوف على هذا الجانب وغيره في قصص القرآن، وفصّلوا القول في خصائصها الفنية وميزاتها وغاياتها التي تتجلى بما فيها من إيجاز معجز، وحسن تخلص وانتقال، وجودة فصل ووصل، وروعة سرد وأداء، وجمال صياغة وتأليف، وجلال حكمة وعبرة، وقد أجمل الباقلاني ذلك كله في قوله: " وكل سورة من هذه السور تتضمن من القصص ما لو

تكلفت العبارة عنها بأضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفته، ثم تجد فيما تنظم ثقل النظم، ونفور الطبع، وشرود الكلام، وتهافت القول وتمنع جانبه، وقصورك عن الإيضاح عن واجبه، ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة إلى قصة، ومن فصل إلى فصل، حتى تتبين عليك مواضع الوصل، وتستصعب أماكن الفصل، ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواعظ زاجرة، وأمثالاً سائرة، وحكماً جليلة، وأدلة على التوحيد بينه، وكلمات في التنزيه والتحميد شريفة "[٤٦].

وهو في قوله هذا يعتمد على احتمال صياغة هذه القصص بلسان بشر، فيعقد مقارنة بينها وبين صياغتها القرآنية قصد إبراز الخصائص الفنية التي تتجلى في قصص القرآن الكريم، وما فيها من إعجاز يجعل من تقليدها أو الإتيان بمثلها ضرباً من العبث والمحال.

القصّاص والمذكّرون

وجد بعض المسلمين في هذه القصص مادة صالحة للوعظ والإرشاد والتذكير، وكان لهم في قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[٤٧] ما يسوغ ذلك، فظهرت طبقة جديدة منهم تعرف باسم القصاص والمذكرين، واختلفوا في بداية ظهورها، فعاد بها بعضهم إلى زمن النبي؛ فذكر ابن الجوزي أنه (صلى الله عليه وسلم) "خرج على الناس وقاصّ يقصّ، وسمع عبدالله بن رواحة يقص، وكان ذلك نادراً "[٤٨] وقال أكثرهم إن " أول من قص: تميم الداري، استأذن عمر بن الخطاب أن يقص على الناس قائماً، فأذن له"[٤٩]، وممن قصّ من الصحابة والتابعين في تلك المدة وما بعدها: كعب الأحبار[٥٠]، وعبدالله بن عمير[٥١]. والأسود بن سريع[٥٢]، وهو أول من قصّ في مسجد البصرة بعد أن نزل بها، وكان صحابياً شاعراً، وكان يقول في قصصه في الميت:

إنْ تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ وإلا فإني لا إخالكَ ناجيا

وكانوا يجرون في قصصهم على سبيل الوعظ والتذكير والاعتبار بقصص القرآن وأمثاله، وقد يستعين بعضهم على تفسيرها وتأويلها بالإسرائيليات وغيرها، صنيع كعب الأحبار "وكان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي وحدّث الصحابة بالإسرائيليات، وكان حسن الإسلام"[٥٣] كما كان تميم الداري نصرانياً " أسلم سنة ٩ هـ، وحدّث عنه النبي بقصة الجساسة في أمر الدجال... واستأذن عمر في القص سنين، وكان يأبى عليه، فلما أكثر عليه قال: ما تقول؟ قال: أقرأ عليهم القرآن، وآمرهم بالخير، وأنهاهم عن الشر، قال عمر: ذاك الربح، ثم قال: عظ قبل أن أخرج للجمعة[٥٤].

واتسع القص في عهد بني أمية، فأصبح في كل مسجد جامع قاص يعظ الناس ويذكرهم، وكان للخلفاء والأمراء دور كبير في الحض عليه وتشجيعه، فروي أن: "كعب الأحبار مكث سنة لا يقص، حتى أرسل إليه معاوية فأمره أن يقص"[٥٥] وأسبغوا على القص صفة رسمية، فأصبح عملاً له أجره ووظيفته، وكثيراً ما كانوا

يجمعون بين القص والقضاء، فولى معاوية سليم بن عتر التجيبي القص والقضاء معاً، وكان قبل ذلك قاصاً فحسب(٥٦)، وكذلك فعل عبد العزيز بن مروان إذ جمع لعبدالرحمن بن حجيرة القص والقضاء بمصر، وكان له عليهما أجران(٥٧)، وعمل عمر بن عبد العزيز على تنظيم القص، فجعله في أيام محددة، فكتب إلى صاحب الحجاز: أن مر قاصك أن يقص على كل ثلاثة أيام مرة، أو قال: قاصكم"(٥٨) وكان عمر نفسه يحضر مجالس القص "ويجلس إلى القاص مع العامة"(٥٩) كما كان له قاص يعظه ويذكّره اسمه محمد بن عيسى القاص(٦٠).

وأقبل الناس على مجالس القص في المساجد إقبالاً عظيماً، فضاقت بهم حلقاته، فاضطر عطاء بن رباح أن يدعو خمسة قصاص ليقصوا في المسجد الحرام بمكة(٦١) ولم يكن القص محصوراً في المساجد وحدها؛ إذ كان القصاص يرافقون الجند، فيحثونهم على الجهاد، بما يحدثونهم به من القصص، فروي أن عتاب بن ورقاء حين خرج لقتال الخوارج أخذ يمرّ بالجند ويسأل: أين القصاص؟ فلم يجبه أحد، فأيقن بالهزيمة(٦٢)، وحين خرج ابن الأشعث على الحجاج اصطحب معه ذر بن عبدالله القاص وأعطاه وكساه(٦٣).

وانتشر القص في العصر العباسي انتشاراً واسعاً جداً، وتنوعت طرقه ومذاهبه وأساليبه، ولم يعد محصوراً في المساجد وساحات القتال، أو مقصوراً على الوعظ والتذكير فحسب، وأصبح بالإمكان التفريق بين فئتين من القصاص، أولاهما خاصة من أهل العلم والمعرفة والفصاحة والبيان واتخذوا القص سبيلاً إلى الوعظ والإرشاد والتعليم، وقد ذكر الجاحظ كثيراً منهم، وخص بعضهم بباب مفرد في البيان والتبيين، أشاد فيه بسعة علمهم، وكثرة حفظهم، وقدرتهم على الافتنان في ضروب القص، وشدة تأثيرهم في نفوس سامعيهم، وأشار إلى إعجاب بعض العلماء والفقهاء بهم، ومنهم " موسى بن سيار الأسواري، وكان من أعاجيب الدنيا، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية... ثم قص في مسجده بعده أبو علي الأسواري عمر بن فائد (بعد ٢٠٠ هـ) ستاً وثلاثين سنة، فابتدأ بسورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات، لأنه كان حافظاً للسير ولوجوه التأويلات، فكان ربما فسر آية واحدة في

عدة أسابيع.. وكان يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيراً، وكان يقص في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك، وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب، ويحتج به، و خصاله المحمودة كثيرة، وصالح المري (-١٢٧هـ) وكان رقيق المجلس، صحيح الكلام، فذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب لما دخل البصرة، وتوارى عند مرحوم العطار قال له مرحوم: هل لك أن تأتي قاصاً عندنا هاهنا فتتفرج بالخروج والنظر إلى الناس، والاستماع منه؟ فأتاه على تكره، كأنه ظنه كبعض من يبلغه شأنه، فلما أتاه وسمع منطقه... رأى بياناً لم يحتسبه، ومذهباً لم يكن يظنه، فقال: ليس هذا قاصاً، هذا نذير"[٦٤].

وكان هؤلاء القصاصون – في نظر الجاحظ – أخطب من كثير من الخطباء، وأحسن إفصاحاً وبياناً من الفصحاء الأبيناء، إذ كانوا يعمدون إلى تحبير كلامهم وتنميقه، وكان العلماء والفقهاء يحضرون مجالسهم ويجدون في قصصهم المتعة والفائدة، فذكر الجاحظ أن: "الفضل بن عيسى الرقاشي كان سجاعاً في قصصه، وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبي عياش يأتون مجلسه، قال له داود بن أبي هند: لولا أنك تفسر القرآن برأيك لأتيناك في مجلسك، قال: فهل تراني أحرم حلالاً، أو أحل حراماً؟..." وكان عبد الصمد الرقاشي وأبو العباس القاسم بن يحيى وعامة قصاص البصرة، أخطب من الخطباء، ويجلس إليهم عامة الفقهاء.[٦٥] وإعجاب الجاحظ بأساليب هؤلاء القصاصين مرتبط بقدرتهم الخطابية والبلاغية أكثر من ارتباطه بجوانب القص الفنية، وذلك مرتبط – على ما يبدو – بطبيعة قصصهم الشفوية، وغاياتها الدينية.

وقد آثر كثير من هؤلاء القصاصين لزوم السجع في قصصهم، لما له من قدرة على استصغاء الأسماع، وتأثير في النفوس، وعلوق في الأذهان، فقال عبد الصمد الرقاشي في تعليل هذه الظاهرة الأسلوبية في قصصه: "إن الحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد، وبقلة التفلت"[٦٦] وكان قد نجم من الرقاشين عدد من القصاصين المجيدين الذين نوه الجاحظ بهم، وأثنى على جودة قصصهم، وحسن بيانهم فيها وبلاغتهم، ووازن بينهم موازنة سريعة، ألم فيها

بميزات عدد منهم، وعلى رأسهم الفضل الرقاشي: "وهو الذي يقول في قصصه: سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حواراً، أجابتك اعتباراً، وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأبين وأخطب.. وحدثني أبو جعفر الصوفي القاص قال: تكلم عبد الصمد في خلق البعوضة وفي جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة... وكان يزيد بن أبان عم الفضل... زاهداً عابداً وعالماً فاضلاً وكان خطيباً، وكان قاصاً مجيداً" .(٦٧) وقد رصد أثر القص في خطابته، فذكر في موضع آخر من البيان " أن يزيد تكلم، ثم تكلم الحسن، وأعرابيان حاضران، فقال أحدهما لصاحبه: كيف رأيت الرجلين؟ فقال: أما الأول فقاص مجيد، وأما الآخر فعربي محكك "(٦٨) مشيراً بذلك إلى أثر القص في تفريع المعاني وتشعيبها، وتلوين الأساليب بألوان الزخرف اللفظي وتليينها، وقد أشار د. شوقي ضيف إلى هذا الأثر فقال: "وقد خطا خطباء القصص و المواعظ بخطابتهم خطوات واسعة نحو الصقل والتجويد لأساليبهم وتلوين معانيهم وتفريعها... ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هؤلاء الوعاظ هم الذين ألانوا أساليب اللغة العربية وحسنوها "(٦٩).

وكان هؤلاء القصاصون يزينون قصصهم ومواعظهم بالشعر لشدة تأثيره في النفوس، وحسن موقعه، فذكر الجاحظ أن " صالحاً المري القاص العابد البليغ كثيراً ما كان ينشد في قصصه ومواعظه هذا البيت "(٧٠):

فباتَ يروّي أصولَ الفسيلِ فعاشَ الفسيلُ وماتَ الرجلْ

وكان أبو عبد الحميد المكفوف يتمثل في قصصه بقول عدي بن زيد العبادي:(٧١)

يا راقدَ الليلِ مسروراً بأوَّلهِ إنَّ الحوادثَ قد يطرقن أسحارا

وإذا كان هؤلاء القصاصون يمثلون جانباً خاصاً من القص تتجلى فيه آثار العلم والثقافة والبلاغة، فكانوا بذلك محل تقدير العلماء والأدباء والنقاد، فإن هنالك طبقة عامة منهم اتخذوا القص مكسباً ومعاشاً، يبتزون به أموال العامة، ويتوسلون لذلك بوسائل مختلفة: كميلهم إلى الغرائب والعجائب، فيوردون لهم منها ما يشبع هذه الرغبة في نفوسهم، ويستعينون على ذلك بأخيلتهم الواسعة، فيزيدون في

الأحاديث ويفتعلون، فذكر ابن الجوزي أن " شاباً دنا من شعبة، فسأله عن حديث، فقال له: أأنت قاص؟ قال: نعم، فقال: اذهب إنا لا تحدث القصاص... يأخذون الحديث منا شبراً فيجعلونه ذراعاً "[٧٢].

وكانوا يعتمدون في التأثير في نفوس مستمعيهم، وتحريك عواطفهم الدينية على بعض الحركات والتصرفات التي تحقق ذلك كما كان يفعل يحيى بن معاذ الرازي القاص (- ٢٥٨هـ) حين جاء إلى شيراز وله هيئة حسنة فلبس دشت ثياب أسود، وصعد الكرسي، فاجتمع الناس إليه، وأول ما بدأ به أنشأ يقول:

مواعظ الواعظِ لن تُقبلا حتى يَعيها قلبه أولا

وسقط عن الكرسي، وغشي عليه، ولم يتكلم ذلك اليوم، ثم إنه ملك قلوب أهل شيراز بعد ذلك حتى إذا أراد أن يضحكهم أضحكهم، وإذا أراد أن يبكيهم أبكاهم، وأخذ سبعة آلاف دينار من البلد[٧٣]. ومما كانوا يبتكرون من أساليب الاحتيال أن منهم "من يتبخر بالزيت والكمون ليصفر وجهه... ومنهم من يمسك معه ما إذا شمه سال دمعه "[٧٤] وقد يستعينون بالحركات للتعبير عن بعض المواقف والأحداث، فروى ابن الجوزي عن أبي الحسن الخياط قوله: "مررت بأبي عبدالله غلام خليل وهو في مجلسه ببغداد، وقد قام على أربع. فقلت لبعض أهل المجلس: ويحكم، ما شأن أبي عبدالله؟ فقال: هو يحكي عبد الرحمن بن عوف على الصراط يوم القيامة "، قال: ومررت به يوماً آخر في مجلس له، وهو ماد يديه وقد حنى ظهره، فقلت لبعضهم: ما حاله "قال: يحكي كيف يلقي الله كنفه على عبده يوم القيامة "[٧٥]، كما كانوا يعمدون إلى تزيين المجلس الذي يقصون فيه بالخرق الملونة وغيرها كما يفعل الممثلون في عصرنا، وعلل ابن الجوزي ذلك تعليلاً يرتبط بإحداث الهيبة وقوة التأثير، فقال: "وأحدثوا إلباس المنبر الخرق الملونة كأنها المنثور، وتعليق المصلى على الحائط فتضرب له المسامير في حائط المسجد... فيتوجب في القلوب هيبة للقائل اكثر من هيبة من هو على خشبة معرّاة "[٧٦].

وكان لهذه الحيل والأساليب تأثير ظاهر في نفوس المستمعين والمشاهدين الذين كانوا يبالغون في التعبير عن مواجدهم ومشاعرهم "فمن ذلك التخبط الذي

يسمونه الوجد وتخريق الثياب واللطم على الرأس والوجه، وربما صاحت المرأة كصياح الحامل عند الوضع، وربما رمت إزارها وقامت "[٧٧]، وكان النساء يحضرن هذه المجالس القصصية سواء في ذلك القيان وربات الخدور، فقال ابن الجوزي في أثناء حديثه عن القصاصين ومجالسهم: "وتعلق بهم العوام والنساء"[٧٨]، وذكر الجاحظ في بعض رسائله أن: "بعض ولاة العراق اشترى قينة بمال كثير، فجلس يوماً ليشرب، وأمرها أن تغنيه، فكان أول صوت تغنت به:

أروحُ إلى القصّاصِ كلّ عشيّةٍ أُرجّي ثوابَ الله في عَدد الخُطا"[٧٩]

وأخذ القص ينفصل عن الوعظ والتذكير، وإن كان ما يزال يستمد أكثر موضوعاته من قصص القرآن الكريم، ولم تعد المساجد وحدها موضعاً لمجالس القصاص، فامتدت إلى الأسواق والطرقات، فذكر السمعاني في ترجمة أبي بكر محمد بن العباس القاص (– ٤١٨ هـ) أنه كان شيخاً فقيراً يقص في الجامع المنصور ببغداد وفي الطرقات والأسواق[٨٠]، وأصبح القص وسيلة من وسائل التسلية والإمتاع والترويح عن النفس، فروى المسعودي أنه " كان ببغداد رجل يتكلم على الطريق ويقص على الناس بأنواع من الأخبار والنوادر والمضاحك، وكان في نهاية الحذق، لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه إلا أن يضحك "[٨١] ولذلك نجد أن ابن الجوزي يعده ضرباً من الأسمار فيقول: " وإنما يستمع من هؤلاء على سبيل الفرجة كسماع الأسمار من السمار "[٨٢] ومازه من الوعظ والتذكير فاختار لكتابه عنواناً يدل على ذلك وهو: " كتاب القصاص والمذكرين"، وقال في صدره: "إن لهذا الفن ثلاثة أسماء: قصص وتذكير ووعظ، فيقال: قاص ومذكر وواعظ، فالقاص: هو الذي يتتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها، وذلك هو القصص، وهذا في الغالب عمن يروي أخبار الماضين... والتذكير: تعريف الخلق نعم الله وحثهم على شكره... والوعظ: تخويف يرق له القلب"[٨٣]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ارتباط القص بالحكايات والأسمار والخيال وتوليد الأخبار وتأليفها، فعد بذلك فناً أدبياً متميزاً، وشكلاً جديداً ومتطوراً من أشكال القص التي عرفها العرب منذ الجاهلية.

الموقف النقدي من القصّ والقصّاص:

وعلى الرغم من شهرة هذا الضرب من القص وذيوعه، وشدة شغف العامة به وإقبالهم عليه فإنه لم يحظ بتقدير معظم الخاصة من العلماء والأدباء والنقاد، فاختلف الفقهاء والعلماء فيه، وجنح أكثرهم إلى القول بكراهته والنهي عنه، وأجمل ابن الجوزي عللهم في ذلك بأنه بدعة لم تكن على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولأنه يشغل عن القرآن، وأن أكثر القصاصين لا يتحرون الصدق والصواب في قصصهم لقلة علمهم، وضعف إيمانهم[٨٤].

ومع ذلك فقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل (- ٢٤١هـ) عدة أقوال تدل على تقديره لدور القصّ في عصره، وشدة حاجة العامة إليه، وانتفاعهم به، وإن كان جل ما يحدثون به كذباً فقال: "يعجبني القاص في هذا الزمان، لأنه يذكر الصراط والشفاعة.... وما أنفعهم للعامة، وإن كان عامة ما يحدثون به كذباً"[٨٥]. على حين كان سفيان الثوري (-١٦١هـ) يغض منهم، وينعتهم بالغوغاء، فروى الأبشيهي أنه سُئل من الغوغاء؟ فقال: "القصّاص الذين يستأصلون أموال العامة بالكلام"[٨٦].

أما الأدباء والنقاد فقد وجدوا في هذا اللون من القصّ وأربابه مجالاً فسيحاً للتندر والفكاهة، فرسموا للقاص صورة ساخرة تعبر عن الدهاء والادعاء والاحتيال، وكان الجاحظ أكثرهم اهتماماً برسم تفاصيل هذه الصورة لشدة عنايته بكل ما هو ساخر وطريف، فأكثر من ذكر القصاصين، ونقل إلينا أطرافاً كثيرة من أخبارهم ونوادرهم وأقوالهم، ووصف لنا هيئاتهم وحركاتهم وأصواتهم ومجالسهم، ومن ذلك قوله: "ومن تمام آلة القصّ أن يكون القاصّ أعمى، ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت"[٨٧]، وكان يقصد هؤلاء القصاصين في مجالسهم، ويعبث بهم، ويسخر منهم، ومما يروى عنه في ذلك قوله: "وقفت على قاص فأردت الولع به، فقلت لمن حوله: إنه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه فتفرقوا، فقال لي: حسبيك الله! إذا لم ير الصياد طيراً كيف يمد شبكته"[٨٨]، مشيراً بذلك إلى احتيالهم بالقص لكسب المال، شأنهم في ذلك شأن المكدين الذين كان كثير منهم قصّاصاً مجيدين،

فذكر الجاحظ في حديث خالد بن يزيد المكدي الشهير المعروف بخالويه أنه: " كان قاصّاً متكلماً بليغاً داهياً، وكان أبو سليمان الأعور وأبو سعيد المدائني القاصان من غلمانه، وهو الذي قال لابنه عند موته... إن هذا المال لم أجمعه إلا من القصص والتكدية، ومن احتيال النهار ومكابدة الليل... ولو ذهب مالي لجلست قاصاً، أو طفت في الآفاق - كما كنت - مكدياً"[٨٩].

واستدل ببعض زلات ألسنتهم على حقيقة سرائرهم، فروى عن القلاس القاصّ قوله في بعض قصصه: "كان أصحاب رسول الله يوم بدر ثلاثمائة وستين درهماً"[٩٠]. وروى من نوادرهم التي تدل على غفلة كثير منهم قول بعض القصاصين بعبادان: "اللهم ارزقنا الشهادة وجميع المسلمين"[٩١] واستمد بعض قصصه الفنية الطريفة من مجالسهم، ومنها قصة أبي كعب القاص التي رسم فيها صورة بارعة جداً لهذا القاص، ولمجالس القص في عصره[٩٢]، ولعله قصد هؤلاء القصاصين في حديثه عن الحاكية، أو أنه استمد هذا الحديث منهم فقال: " إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً، وكذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والزنجي والسندي... حتى نجده كأنه أطبع منهم، فإذا ما حكى كلام الفأفأة فكأنما قد جمعت كل طرفة في كل فأفأة في الأرض في لسان واحد، وتجده يحكي الأعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه، لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله، فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في أعمى واحد"[٩٣]. وللحركات والإشارات عند الجاحظ قيمة كبرى في الدلالة على المعنى، فجعلها شريكة اللفظ وأقدر في الدلالة على المعاني الدقيقة منه، فقال: "فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب... والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ... وهل تعدو الإشارة أن تكون صورة معروفة، وحيلة موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها... ولولا الإشارة لم يتفهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة"[٩٤].

وأكثر النقاد والمؤلفون من الإشارة إلى سعة أخيلة القصاصين، فنعتوهم لذلك بالافتعال والكذب؛ إذ كانوا يتزيدون في الأخبار والأحاديث، وافتعلوا كثيراً منها، فذكر المبرد (-٢٨٢هـ) "أن قاصاً كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان، فاتفق هرم معه في مسجد وهو يقول: حدثنا هرم.. فقال له: أنا هرم، ووالله ما حدثتك من هذا بشيء. فقال له القاص: وهذا أيضاً من عجائبك.. فكيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك!"[٩٥]. كما كانوا يعتمدون على الإسرائيليات في قصصهم، ولا يكتفون بها، فيذهب بهم الخيال كل مذهب، فيعجب العامة بهم، ويسخر الخاصة منهم، وقد تنقلب الآية، فيكونون عرضة لسخرية بعض أهل الفطن والبداهة من القصاصين، فروى المبرد أن "قاصاً بالرقة كان يكثر من التحدث عن بني إسرائيل فيظهر به الكذب، فقال له يوماً الحجاج بن حنتمة: ما كان اسم بقرة بني اسرائيل؟ فقال: حنتمة!"[٩٦]، وفي ذلك إشارة خفية إلى إدراك هؤلاء القصاصين إلى اختلاف فنهم ومذاهبهم وغاياتهم عن مذاهب العلماء والأخباريين والمؤرخين، إذ كانت الغاية من هذا الفن إنما تتجلى في التسلية والإمتاع والتوسل إلى ذلك بالخبر التاريخي أو الحديث أو غيره، وإفساح المجال واسعاً أمام الخيال كي يمتد به ويتوسع كما يصنع بعض كتاب القصة في عصرنا، ويبدو أن هذا الجانب الخيالي وحده كان كافياً لإشباع رغبة العامة من هذه القصص، فلم يكن أكثر القصاصين يولون الجوانب الأسلوبية اهتماماً يذكر كما كان الخاصة من القصاصين يفعلون، فكانوا لذلك عرضة لنقد بعض الأدباء والخطباء، فذكر التوحيدي أن " أبا شيبة القاص كان من ألحن الناس، وكان يقول في قصصه حدثنا (أبي) إسحق الأسود... فسمعه رقبة بن مصقلة، فقال له: لو كان لحنك من الذنوب لكان من الكبائر"[٩٧].

ومهما يكن من أمر، فإن هذا اللون من قصص العامة لم يحظ من النقاد والمؤلفين بقدر كاف من الاهتمام، إذ لا تكاد آراؤهم فيه تتجاوز الطرف والنوادر التي أكثروا من روايتها في كتبهم[٩٨]، وأفصحوا من خلالها عن آرائهم في هذا الفن وأربابه، وخص بعض المؤلفين القصص والقصاصين بكتب مفردة ككتاب "أخبار



القصاصين"[٩٩] لأبي بكر النقاش (-٣٥١هـ) و"القصاصين والمذكرين"[١٠٠] لابن الجوزي (-٥٩٧هـ) وهو من الكتب التي وصلت إلينا، وقد اهتم فيه بتاريخ القص وأخبار رجاله وآراء العلماء والفقهاء فيه، وألفت د. وديعة نجم في عصرنا كتاباً في "القصص والقصاص في الأدب الإسلامي"، وأولت قصص العامة فيه عناية خاصة، إذ وجدت فيها "صورة لفن أدبي متميز"[١٠١]. ولم يصل إلينا من نصوص هذا الفن ما يمكننا من الحكم عليه، وتقويم آراء النقاد فيه، وإن كنا نرى صورة هذا الفن إنما تتجلى في نوع آخر من القصص المدونة التي عرفها العرب منذ مطلع العصر العباسي، وعلى رأسها "كتاب كليلة ودمنة".

حركة الترجمة وأثرها في تطور فن القصّة:

أسفرت حركة الترجمة في هذا العصر عن نقل طائفة كبيرة من عيون القصص الهندي والفارسي والرومي إلى العربية، وفي مقدمتها "كتاب كليلة ودمنة"(١٠٢) الذي يشتمل على مجموعة من القصص والأمثال والحكم على ألسن الحيوان، وهو من أصل هندي، وترجمه بعض حكماء الفرس إلى الفهلوية في أيام كسرى أنوشروان، ونقله من الفارسية إلى العربية ابن المقفع (-١٤٢هـ)، ويبدو أنه آثر في ذلك لزوم جانب الدقة والسهولة والنأي عن التصرف والتكلف والتعقيد، فكان لذلك عرضة لانتقاد بعض الأدباء والكتاب، فقال الجاحظ يسخر من آرائهم، وينوه بترجمة ابن المقفع، وسهولة أسلوبه فيها: " في كتاب كليلة ودمنة: وكن كالنسر حوله الجيف، ولا تكن كالجيفة حولها النسور، فاعترض على ترجمة ابن المقفع بعض فتيان الكتاب فقال: إنما كان ينبغي أن يقول كن كالضرس حف بالتحف ولا تكن كالهبرة تطيف بها الأكلة، وهذا من الاعتراض عجب"(١٠٣).

كتاب كليلة ودمنة وأثره عند العرب:

وكانت هذه الآراء وأشباهها سبباً في ظهور عدة ترجمات أخرى لهذا الكتاب كما أشار إلى ذلك ابن النديم في قوله: "وفسره ابن المقفع وغيره"(١٠٤) ومنها ترجمة عبدالله بن هلال الأهوازي التي عملها ليحيى البرمكي سنة ١٦٥هـ(١٠٥)، وكان يحيى معجباً بهذا الكتاب أيما إعجاب، فروى الصولي (-٣٣٥هـ) أنه "أحب أن يحفظ كليلة ودمنة، فاشتد عليه ذلك، فقال له أبان بن عبد الحميد اللاحقي (- نحو ٢٠٠هـ): أنا أعمله شعراً ليخف على الوزير حفظه. فنقله إلى قصيدة عملها مزدوجة، عدد أبياتها أربعة عشر ألف بيت، في ثلاثة أشهر، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف دينار، وقال له جعفر بن يحيى: ألا يعجبك أن أكون راويتك لها ولم يعطه شيئاً، فتصدق بثلث الذي أخذه"(١٠٦)، وروى لنا الصولي من هذه القصيدة الطويلة سبعة وسبعين بيتاً، وأولها:(١٠٧)

هـذا كـتـابُ كـذبٍ ومـحـنـه وهـو الـذي يُـدعـى كـلـيـل دمـنـه
فـيـه دلالاتٌ وفـيـه رُشـدُ وهـو كـتـابٌ عـمـلـتـه الـهـنـدُ

وقال بعد روايتها "والله ما أدري لا ما اخترت ولا ما تركت، ولو علمت حقيقة هذه القصيدة ما ضمنت ما تضمنت، لأنها قصص لا يحسن بعضها إلا ببعض، والإحسان فيها قليل، فقد أضربت عن ذكرها، والاختيار منها، وفيما حكيناه مما ذكرنا غنى وكفاية"(١٠٨) مشيراً بذلك إلى أهمية تسلسل الأحداث وترابطها في القصة، ومفصحاً عن عدم إعجابه بصنيع أبان في نقل هذه القصص المنثورة إلى الشعر، على حين وجدنا ابن المعتز (-٢٩٦هـ) يبدي إعجابه الشديد بهذه القصيدة، ويثني على حسن ألفاظها، وصحة معانيها، وشدة حرص أبان فيها على دقة النقل وسلامته من الخطأ فيقول: "وهو الذي نقل كليلة ودمنة شعراً بتلك الألفاظ الحسنة العجيبة ... ولم يقدر أحد من الناس أن يتعلق عليه بخطأ في لفظه، ولا أن يقول: ترك من لفظ الكتاب أو معناه"(١٠٩) وقد أغرم الشعراء بنقل هذا الكتاب إلى الشعر، فنظمه ليحيى البرمكي (-١٩٠هـ) أيضاً الفضل بن نوبخت(١١٠)، كما نظمه في هذه المدة بشر بن المعتمر المعتزلي (-٢١٠هـ)(١١١) وعلي بن داود كاتب زبيدة زوج البرمكي(١١٢) ونظمه بعد ذلك عدد آخر من الشعراء(١١٣)، وقال ابن النديم إن "لهذا الكتاب جوامع وانتزاعات عملها جماعة، منهم: ابن المقفع وسهل بن هارون وسلم صاحب بيت الحكمة والمريد الأسود الذي استدعاه المتوكل من فارس"(١١٤)، وفي ذلك كله ما يدل على شهرة هذا الكتاب، وعمق أثره في الثقافة العربية، وتنوع مظاهر الاهتمام به، فكانت له أصداء واسعة جداً في أشعار الشعراء، وكتب المؤلفين، وآراء الأدباء والنقاد.

على أن أهم أثر لهذا الكتاب إنما يتجلى في تأليف عدد من القصص العربية على مثاله، وقد تنبه ابن النديم على أهمية هذا الأثر فقال: وأول من صنف الخرافات، وجعل لها كتباً، وأودعها الخزائن وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان - الفرس ... ونقلته العرب إلى اللغة العربية، وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه(١١٥). ومن أبرز الأدباء الذين اشتهروا بتأليف هذه القصص وغيرها سهل بن هارون بن راهبون الفارسي (-٢١٥هـ)(١١٦) وكان حكيماً شاعراً، وكاتباً

بليغاً، ومترجماً من الفارسية إلى العربية، عهد إليه الرشيد الإشراف على التراجمة في دار الحكمة التي أنشأها في بغداد، ثم جعله المأمون قيماً عليها، وألف كتباً كثيرة في الحكمة وتدبير الملك والسياسة، كما ألف عدة قصص مبتكرة، جعل ثلاثاً منها على ألسن الحيوان وهي: قصة "الغزالين" و"ثعلة وعفرة" و"النمر والثعلب" ولم يصل إلينا منها غير القصة الأخيرة، ولسنا نعرف عن قصة "الغزالين"[١١٧] شيئاً أكثر من عنوانها، أما "ثعلة وعفرة" فيبدو أنها من القصص التي حظيت بشهرة واسعة، فعدها الجاحظ في رأس قائمة كتبه المخلدة، وقصصه المولدة، فقال: ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المخلدة، والسير الحسان المدونة، والأخبار المولدة: سهل بن هارون صاحب "ثعلة وعفرة في معارضة كليلة ودمنة"[١١٨]، كما ذكرها ابن النديم في رأس قائمة كتبه وقال أيضاً إنها "على مثال كليلة ودمنة"[١١٩]، ونقل إلينا الحصري فقرة يتيمة منها، تشتمل على حكمة تقول: "اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم، فإن تقديم النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة، وتقصير الروية مضرّ بالتدبير، مخلّ بالاختيار، وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة، ولزوم النقيصة"، وقال الحصري بعدها: "وكتابه هذا مملوء حكماً وعلماً"[١٢٠]. وفي ذلك ما يمكن أن يدل على طبيعة هذا الكتاب، وطريقة بنائه وتأليفه، وما يشتمل عليه من حكم وعبر ومواعظ ترد على ألسن الحيوان قبل القصة أو بعدها لتعبر عن مغزاها، على نحو قصص "كليلة ودمنة" وحكمه وأمثاله.

وأما قصة النمر والثعلب التي وصلت إلينا[١٢١]، فهي قصة واحدة طويلة ومترابطة، ذات أحداث كثيرة ومتلاحقة، تدور على ثلاث شخصيات رئيسية هي: النمر الطاغي، والذئب الجحود، والثعلب الحكيم، وتهدف إلى تحقيق عدة غايات فكرية وسياسية وأخلاقية وأدبية؛ إذ صور فيها جبروت الملوك والحكام، وجحود الولاة والعمال، ودهاء الوزراء والكتاب، وعاقبة الغدر والخيانة، وقيمة العقل، ونفع العلم، وضرر الجهل، ونثر في أثنائها طائفة من الحكم والأمثال والأشعار، وضمنها بعض الرسائل

المتبادلة بين النمر والذئب لتكون مثلاً لفن الترسل وأصوله وقواعده وأساليبه، وساق ذلك كله بقالب قصصي مشوق، وأسلوب ممتع، وحوار طريف.

وتعد هذه القصص الثلاث من أوائل ما ألف بالعربية من القصص على ألسن الحيوانات في العصر العباسي، ونهج سبيل سهل فيها عدد من معاصريه، فألف علي بن عبيدة الريحاني (-٢١٩هـ) "كتاب النملة والبعوضة"[١٢٢]، وألف الجاحظ (-٢٥٥هـ) "كتاب الأسد والذئب"[١٢٣] ولسنا نستبعد أن يكون قد قلد فيه "كتاب النمر والثعلب" لسهل؛ إذ كان شديد الإعجاب بأدبه وبلاغته وافتنانه في تأليف كتبه وتوليد أخباره وقصصه، وأثنى عليه ثناء عظيماً كما مر بنا قبل قليل، وقال ابن النديم إنه " كان يفضله، ويصف براعته وفصاحته، ويحكي عنه في كتبه "[١٢٤] وإن كان قد اتهمه بالبخل، وافتتح كتابه البخلاء بذكر رسالته في الرد على من عاب عليه مذهبه فيه[١٢٥] ومن هذه القصص المؤلفة على ألسن الحيوان أيضاً " كتاب سمسمة ودمنة " الذي ذكره ابن النديم مع "كتب الروم المصنفة في الأسمار" وقال إنه "على مثال كليلة ودمنة، وهو كتاب غث بارد التأليف، بغيض التصنيف قد قيل إن بعض المحدثين عمله"[١٢٦]، ويبدو أنه لبعض المؤلفين المجهولين الذين كانوا يصنفون هذه الكتب وينسبونها إلى الفرس والروم وغيرهم، كما سنجد في أثناء الحديث عن القصص المترجمة.

تطور حركة الترجمة في ميدان الفن القصصي:

وترجم ابن المقفع أيضاً عدداً آخر من قصص الفرس وأسمارهم وسير ملوكهم وحكاياتهم ككتاب "خداي نامة"[١٢٧] في سير ملوك العجم، و"كتاب التاج"[١٢٨] في سيرة كسرى أنو شروان، و"كتاب مزدك"[١٢٩] وهو – كما يقول بروكلمان – "قصة روائية لذلك الملحد بقالب بليغ"[١٣٠] كما ترجم جبلة بن سالم الكاتب معاصره "كتاب رستم واسبنديار"[١٣١] و"كتاب بهرام شوس"[١٣٢]، ولعلي بن عبيدة الريحاني (-٢١٩هـ) من هذه القصص والسير والأسمار المترجمة "كتاب روشنا يدل"[١٣٣] و "مهرازاد جشنش"[١٣٤] و"كيلهرا سف الملك"[١٣٥].

وخصص ابن النديم المقالة الثامنة من الفهرست لذكر "أخبار المسامرين والخرافات وأسماء الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات"[١٣٦]، وسرد فيها أسماء عدد كبير من الكتب الهندية والفارسية والرومية التي نقلها بعض التراجمة المجهولين إلى العربية، وبدأها بالقول إن "أول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً.. الفرس الأول.. ونقلته العرب إلى اللغة العربية... فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار أفسان ومعناه: ألف خرافة، وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها في الغد، فتزوج بجارية من أولاد الملوك يقال لها: شهرزاد، فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه.. إلى أن أتى عليها ألف ليلة.. فاستعقلها ومال إليها واستبقاها... وكتاب هزار أفسان يحتوي على ألف ليلة، وعلى دون المائتي سمر، لأن السمر ربما حدث به في عدة ليال وقد رأيته بتمامه دفعات، وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث[١٣٧].

وإذا كنا لا نتفق مع رأي ابن النديم في هذا الكتاب، فإننا نجد في قوله ما يؤكد أنه كان مترجماً " بتمامه " ومعروفاً ومتداولاً في القرن الرابع على أبعد تقدير[١٣٨]، وأنه كان مقسماً بحسب أسماره وحكاياته ولياليه إلى كتب مفردة أو أجزاء، وقد ذكر ابن النديم أسماء بعض الكتب المترجمة التي تتصل بهذه الأسمار والحكايات، وربما كانت من أصول هذا الكتاب أو بعض حكاياته المفردة وأجزائه، أو أنها أضيفت إليه بعد ذلك ككتاب "شهرزاد وبرويز"[١٣٩] وكتاب "سندباد"، وهو – كما يقول ابن النديم – نسختان كبيرة وصغيرة، والخلف فيه أيضاً مثل الخلف في كليلة ودمنة، والغالب والأقرب إلى الحق أن يكون صنفته الهند[١٤٠]، ثم عد هاتين النسختين اللتين تعرفان باسم "كتاب سندباد الكبير" و "كتاب سندباد الصغير" مع "كتب الهند في الخرافات والأسمار والأحاديث"[١٤١]، وكان هذا الكتاب مترجماً ومعروفاً في القرن الثاني الهجري، ونقله أبان بن عبد الحميد (– نحو ٢٠٠هـ) مع ما نقل من كتب الفرس وغيرها[١٤٢] وكان مختصاً بنقل هذه القصص والأسمار المنثورة إلى الشعر، فنقل منها كليلة ودمنة كما ذكرنا قبل قليل، كما نقل " كتاب مزدك "[١٤٣] و "كتاب

بلوهر وبوداسف"[١٤٤]، وهو من كتب الهند التي ذكرها ابن النديم[١٤٥]، وقال بروكلمان إنه قصة من كتاب "خداي نامة" الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية[١٤٦]، وعده في موضع آخر كتاباً مفرداً "من الكتب المترجمة عن الفارسية وهو حكاية بوذية ترجمت للمانويين في السند، فأعجبوا بها، وعكفوا على قراءتها وهناك نص آخر من قصة بلوهر وبوداسف كتبه: عماد الدين بن بابويه القمي (-٣٨١هـ)، ونص آخر أيضاً ذكره كتاب نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب"[١٤٧] المنسوب إلى الأصمعي (-٢١٦هـ)[١٤٨].

ومما ذكر ابن النديم من أسمار الفرس المترجمة إلى العربية[١٤٩] قصة "روزبة اليتيم" و "كتاب دارا والصنم" و "بهرام ونرسي" و "نمرود ملك بابل" و "شاه زنان"، ومن أسمار الهند[١٥٠]: "كتاب ملك الهند القتال والسباح" و "كتاب سارتوم" و "قصة هبوط آدم" ومن كتب الروم في القصص والأسمار[١٥١] "كتاب أنطوس السايح وملك الروم" و "خبر ملك لد" وكتاب سطرينوس الملك وسبب تزويجه بساراد الفقصة"، ومن كتب ملوك بابل[١٥٢] "كتاب الملك الراكب القصبة" و "الحكيم الناسك" و "ملك بابل الصالح وإبليس" وغيرها كثير من هذه القصص والأسمار التي نقلوها إلى العربية، وكان بعض المؤلفين يقومون بإصلاح كثير منها، وإعادة صياغته، فينسب إليهم شأن "حديث روشنقباد" الذي عده ابن النديم في جملة كتب أبي مخنف الأزدي (-١٥٧هـ)[١٥٣] وأبي عبيدة (-٢١٦هـ)[١٥٤]، وقد يضيفون إليها بعض القصص والحكايات ويلحقونها بها، ويضفون عليها الصبغة العربية والإسلامية، كما يتجلى ذلك واضحاً في ألف ليلة وليلة وغيره من القصص المترجمة التي كان لها أكبر الأثر في تطور حركة التأليف القصصي لدى العرب في العصر العباسي.

القصص المولّدة وأثرها في التراث العربي

لقد كانت هذه القصص والأسمار مرغوبة في العصر العباسي، فعمد بعض الوراقين والمؤلفين إلى تقليدها أو افتعالها، ووجدوا في أخبار العشاق وسير الأبطال ومغامرات الشطار وأحاديث الرحالة والتجار مادة صالحة لذلك، فذكر ابن النديم أن "الأسمار والخرافات كانت مرغوبة ومشتهاة في أيام خلفاء بني العباس، ولاسيما في أيام المقتدر، فصنف الوراقون وكذبوا، فكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان واسمه أحمد بن محمد، وآخر يعرف بابن العطار وجماعة"[١٥٥]. وفي ذلك ما يفسر كثرة هذه الكتب في العصر العباسي، وعدم نسبة كثير منها إلى مؤلفيها، وقد سرد ابن النديم أسماء عدد كبير منها، وصنفها زمراً تبدأ بأسماء العشاق الذين عشقوا في الجاهلية والإسلام، وألف في أخبارهم جماعة مثل عيسى بن دأب والشرقي ابن القطامي وهشام الكلبي (-٢٠٦هـ) وغيرهم[١٥٦].

وذكر أسماء هذه القصص ولم ينسبها إلى مؤلفيها، ومنها قصة "مرقش وأسماء" و"مجنون وليلى" و"وضاح اليمن وأم البنين" و"باكر ولحظة" و"مليكة ونعم وابن الوزير" و"عاشق الكف" و"عاشق الصورة" وغيرها من قصص هؤلاء العشاق التي أتبعها قائمة أخرى في "أسماء العشاق من سائر الناس ممن ألف في حديثه كتاب"[١٥٧] ومن ذلك: "كتاب سبيل وقالون" و"علي بن أديم ومنهلة" و"أحمد وزين القصور" و"عبدالله بن المهذب وليلى بنت المعتمد" و"عيسى وسراب" وذكر بعدها أسماء الكتب المؤلفة في "الحبائب والمتظرفات"[١٥٨] مثل "كتاب ريحانة وقرنفل" و"رقية وخديجة" و"سكينة والرباب" و" لؤلؤة وشاطرة و"عبدة العاقلة وعبدة الغدارة".

وأتى بعد ذلك على سرد قائمة جديدة من الكتب المؤلفة في: العشاق الذين تدخل أحاديثهم في السمر[١٥٩] ومنها: "كتاب التميمي والتميمية اللذين تعاهدا" و"المصري والمكية"، و"الوجيهة والأعرابي"، و"الفتى الأحمق وشمسه"، و"صاحب بشر بن مروان وابنة عمه"، وانتقل إلى حكايات "عشاق الإنس للجن وعشاق الجن للإنس"[١٦٠] كحكاية "دعد والرباب" و"سعسع وقمع" و"شيطان الطاق" و"ربيعة بن قدام والجنبة" و "الدلغاء وإخوتها والجني"، وختم هذه المسارد الطويلة بذكر الكتب المؤلفة في "عجائب البحر وغيره وهي: كتاب صخر المغربي، ويحتوي على ثلاثين حديثاً: عشرة في عجائب البر، وعشرة في عجائب الشجرة، وعشرة في عجائب البحر، وكتاب وائلة بن الأسقع، وكتاب الميفع بن ذي يرحم الحميري والعقوف بنت زيد، وكتاب الشيخ بن الشاب"[١٦١]، وعاد في موضع آخر إلى سرد " أسماء خرافات تعرف باللقب ولا نعرف من أمرها غير هذا "[١٦٢] ومنها: "كتاب كعب بن ضب" و"كتاب عاشق البقرة " و"كتاب جرد الريح" وأتبعها الكتب المؤلفة في "أحاديث البطالين ولا يعرف من صنفها"[١٦٣] مثل: "كتاب حوشب الأسدي" و"كتاب أبي السايب المخزومي" و"كتاب الأعرج المديني" وغيرها من هذه القصص والأسمار التي ألفها بعض الوراقين المجهولين أو المؤلفين، واعتمدوا فيها على أخيلتهم وقدرتهم على توليد الأحداث وتطويرها، ورسم الشخصيات ووصف بيئاتها، وصوروا فيها جوانب الحياة الاجتماعية، وأسرار الدور والقصور في العصر العباسي، وعبروا بذلك عن تطور الحياة والمجتمع في هذا العصر، ومواكبة الأدب لهذا التطور.

وكانت حركة التأليف في هذا الباب قد بدأت في مطلع هذا العصر، فاتجه بعض الرواة والمؤلفين إلى تصنيف القصص والأسمار والأحاديث، ومنهم لقيط بن بكر المحاري (–١٩٠ هـ) وله من الكتب: كتاب السمر، وكتاب الخراب واللصوص، وكتاب أخبار الجن[١٦٤]، وهشام الكلبي (– ٢٠٦هـ) ومن كتبه في الأسمار والأخبار: كتاب الفتيان الأربعة، وكتاب الأحاديث، وكتاب السمر، وكتاب حبيب العطار، وكتاب عجائب البحر[١٦٥]، والهيثم بن عدي (–٢٠٧هـ) الذي ألف كتباً كثيرة في أخبار العرب

وغيرهم، وذكر له ابن النديم كتاباً عنوانه "السمير"[١٦٦] يدل على أنه يدخل في باب الأسمار والأحاديث، كما يدل على ذلك "كتاب الأجواد"[١٦٧] لكلثوم بن عمرو العتابي (-٢٠٨هـ) وكان مشتهراً بكتابة القصص وتوليدها، فعده ابن النديم في جملة من "كان يعمل الخرافات والأسمار على ألسنة الحيوان وغيرها، وهم: سهل بن هارون وعلي بن داود والعتابي وأحمد بن أبي طاهر"[١٦٨].

وكان سهل بن هارون (-٢١٥هـ) أوسعهم شهرة في هذا الفن، وأكثرهم اختصاصاً به، فألف عدداً من القصص على ألسن الحيوان كما مر بنا من قبل، وجعل بعض هذه القصص على ألسنة الناس ومنها قصة "الضرتين" و"الوامق والعذراء" و"الهذلية والمخزومي" و"ندود وودود"[١٦٩] وسلك سبيله في ذلك عدد من معاصريه، فذكر ابن النديم أن علي بن داود كاتب زبيدة، وكان أحد البلغاء، يسلك في تصنيفاته طريقة سهل بن هارون، وله من الكتب كتاب "الحرة والأمة"[١٧٠] وقد مر بنا أنه كان أحد الذين نقلوا كتاب كليلة ودمنة إلى الشعر، كما كان علي بن عبيدة الريحاني (-٢١٩هـ) مختصاً بالقصص والأسمار، فنقل عدداً منها من الفارسية إلى العربية، كما ذكرنا قبل قليل، وألف عدداً آخر كقصة "رايد الود" و"سناء وبهاء" و"شمل وألفة" و"ودود وندود" و"لابن الملك" و"اليأس والرجاء" و"امتحان الدهر" و"الصبر" و"الأجواد" و"كتاب المنادمات" و "كتاب المجالسة"[١٧١] كما ألف أبو الحسن المدائني (-٢٢٥هـ) بعض القصص والأسمار المستمدة من التراث العربي مثل: "كتاب المتيمين"، و"كتاب السمير" و"كتاب الفرج بعد الشدة والضيق"[١٧٢] ونحا نحوه في ذلك ابن السكيت (- ٢٤٤ هـ) فألف: "كتاب الأيام والليالي"[١٧٣]، واستمد ابو حسان النملي (نحو ٢٤٧هـ) من البيئة الشعبية موضوعاً لكتابه "خطاب المكاري لجارية البقال"[١٧٤].

وفي مجال النقد التوثيقي نجد الجاحظ يبدي شكّه في صحة بعض ما ينسب إلى الفرس من سير ورسائل، وعزا أسباب وضعها ونحلها إلى الصراع الشعوبي، فقال في أثناء حديثه عن آثار هذا الصراع: "ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بأيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولدة؛ إذ كان

مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وعبد الحميد وغيلان يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل، ويصنعوا مثل تلك السير"[١٧٥].

كما نبّه أبو الفرج الأصبهاني على أثر هذا الصراع في توليد بعض القصص الغرامية وتوشيحها بالشعر ونسبتها إلى بعض الشعراء ونساء سادة العرب بقصد الإساءة إليهم والتشهير بهم، ومن ذلك قصة "وضاح اليمن وأم البنين"[١٧٦] التي ذكرها ابن النديم في جملة الكتب المؤلفة في الأسمار، وكشف أبو الفرج عن أسباب وضعها وافتعالها، فقال: "وقع بين رجل من زنادقة الشعوبية وبين رجل من ولد الوليد بن يزيد فخار خرجا فيه إلى أن أغلظا المسابّة، وذلك في دولة بني العباس، فوضع الشعوبي كتاباً فيه أن أم البنين عشقت وضاحاً، وكانت تدخله صندوقاً عندها، فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه، وأراه الصندوق، فأخذه فدفنه"[١٧٧].

وقد اعتنى كثير من المؤلفين في العصر العباسي بتأليف هذه القصص وأشباهها، وجعلوا بعض الشعراء المعروفين أو العشاق أبطالاً لها، ونسجوا حولهم قصصاً فنية كثيرة، سرد ابن النديم أسماء عدد كبير منها، وقال في " أسماء العشاق الذين عشقوا في الجاهلية والإسلام... وألف أخبارهم جماعة مثل عيسى بن دأب والشرقي بن القطامي وهشام الكلبي والهيثم بن عدي وغيرهم ككتاب: مرقش وأسماء، وجميل وبثينة، وكثير وعزة، ومجنون وليلى، ووضاح وأم البنين"[١٧٨] وغيرها كثير من هذه القصص المولدة التي خلفت في تاريخ الأدب العربي بعض الآثار.

ولم يكن النقاد بغفلة عن هذه القصص، فنبهوا عليها، وحذروا من الخلط بينها وبين الصحيح من الأخبار والأشعار، فقال أبو الفرج الأصبهاني في صدر أخبار مجنون بني عامر التي تجري هذا المجرى: "وأنا أذكر ما وقع إليّ من أخباره متبرئاً من العهدة فيها، وإذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومتتبع للعيوب"[١٧٩] وأكد أن أخباره من القصص المولدة فقال: "إن فتى من بني مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر وينسبه إلى المجنون، وأنه عمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر، فحمله الناس وزادوا فيه"[١٨٠]، وكرر هذا القول عدة مرات متوالية وبروايات مختلفة مؤكداً بذلك أن معظم أخباره وأشعاره إنما تدخل في

باب القصص والأسمار، وتخرج بذلك من باب الأخبار والأشعار الموثقة الصحيحة التي تعد في تاريخ الأدب والشعر، شأنها في ذلك عنده شأن قصة "علي بن أديم ومنهلة"[١٨١] التي استمد أصولها بعض أهل الكوفة من أخبار هذا الشاعر وجعلها في كتاب مفرد صادف شهرة واسعة، ونبه أبو الفرج على ضرورة التفريق بين الصحيح من أخباره وبين المولد الموضوع الذي ورد في هذا الكتاب، وقال: "هو رجل من تجار الكوفة، وكان متأدباً صالح الشعر، يهوى جارية يقال لها منهلة واستهيم بها مدة ثم بيعت فمات أسفاً عليها، وله معها حديث طويل في كتاب مفرد مشهور صنعه أهل الكوفة لهما وليس مما يصلح الإطالة به"[١٨٢]، فاقتصر على رواية ما صح لديه من أخباره وأشعاره ولم يتعدّ في ذلك صفحتين فحسب.

وكان للتنافس الثقافي بين العرب والعجم في العصر العباسي أثر كبير في توليد الخرافات والأسمار، فروى المبرد في أثناء حديثه عن تكاذيب الأعراب عن التوزي قوله: "سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الأخبار من أخبار العرب، فقال لي: إن العجم تكذب فتقول: كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه"[١٨٣]، وقد سرد ابن النديم أسماء عدد كبير من هذه القصص الخرافية والأسمار وقال: "كانت الأسمار والخرافات مرغوباً فيها ومشتهاة في أيام بني العباس فصنف الوراقون وكذبوا، وكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان وآخر يعرف بابن العطار وجماعة"[١٨٤]. وللكذب في هذه الأقوال مفهوم يدل على توليد الأخبار والأحداث والأقوال في القصص المبتدعة، والفرق بينها وبين الصحيح منها.

الجاحظ وفن القصة:

على أن أهم كتاب العصر العباسي الذين برعوا في فن القص وتوليد الأحاديث هو الجاحظ (–٢٥٥هـ) فكانت القصة باباً من أوسع الأبواب التي اتسمت بها أعماله الأدبية، ووجد فيها مجالاً لإشباع نزعته الفنية إلى الابتداع والابتكار، وكان له من خصوبة الخيال، وبراعة الوصف، ودقة التصوير، والقدرة على ملاحظة التفاصيل الصغيرة، والتغلغل في أعماق النفس البشرية، وتتبع حركاتها، والتعبير عن مكنوناتها

ما يفي بحاجة هذا الفن والتجويد فيه، وقد اعتمد في معظم قصصه على الواقع، فاستمد منه أحداثها وشخصياتها، وأبدى قدرة فائقة على انتخاب الحدث المتميز، واختيار الشخصية الطريفة، معتمداً في ذلك على خبرته الواسعة بالحياة، ومعرفته العميقة بالناس على اختلاف طبقاتهم، فكانت قصصه صورة لعصره وبيئته ومجتمعه، على الرغم من تصرفه الواسع في تفاصيل هذه الصورة وفقاً لمتطلبات الفن القصصي.

وقد ظهرت آثار هذه النزعة القصصية في عدد من كتبه ورسائله التي نقف فيها على بعض القصص القصيرة كقصة القاضي الوقور عبدالله بن سوار التي وردت في كتاب الحيوان(١٨٥) وصور فيها زماتة هذا القاضي الذي لا يكاد يحرك طرفاً من أطرافه إذا ما تحدث أو جلس، فألح عليه الذباب يوماً، فأخرجه عن طبعه، وشهد على نفسه بضعفه أمام أحقر مخلوقات الله وأضعفها. كما رسم للقاص صورة ساخرة في قصة أبي كعب القاص(١٨٦) التي اختار فيها موقفاً من أندر المواقف وأطرفها، ووصفه وصفاً بارعاً ودقيقاً. وصور فطنة الأعرابي ودهاءه وعلاقته بأهل المدن والحواضر في عدد من القصص الفنية القصيرة الساخرة(١٨٧).

واستمد من البيئة الاجتماعية المحيطة به أحداث كثير من قصصه وشخصياتها، فوجد في "نوادر الطفيليين" و"أحاديث الفتيان" و"أخلاق الشطار" و"نوادر الحسن" وحكاية "العاشق الناشي والمتلاشي" و"حيل المكدين" و"حيل اللصوص" موضوعات لهذه الكتب المفقودة(١٨٨) التي تدل على نزعة قصصية ظاهرة كما تكشف عن ذلك بعض القطع أو النصوص كقوله عن بابويه اللص في الحيوان: "ولو سمعت بقصصه في كتاب اللصوص علمت أنه بعيد عن الكذب والتزيد وقد رأيته وجالسته"(١٨٩) وقال في مقدمة البخلاء: "ذكرت - حفظك الله - أنك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار، وفي تفصيل حيل سراق الليل... وتقدمت بما أفادك من لطائف الخدع، ونبهك عليه من غرائب الحيل"(١٩٠) وقد نقل إلينا البيهقي (٤٢٩هـ) قطعة من هذا الكتاب تشتمل على بعض هذه الحيل أو الخدع(١٩١)، كما وصلت إلينا منه حكاية كاملة هي "حكاية عثمان الخياط في اللصوص ووصاياه"(١٩٢)، ونقل إلينا الجاحظ طرفاً من وصية عثمان الخياط للشطار واللصوص(١٩٣)، ولعلها من حكاية

عثمان في كتاب اللصوص، وفيها يقول: "إياكم وحب النساء، وسماع ضرب العود، وشرب الزبيب المطبوخ... ودعوا لبس العمائم، وعليكم بالقناع، والقلنسوة كفر، والخف شرك... وعليكم بالنرد، ودعوا الشطرنج لأهلها، والودع رأس مال كبير، وأول منافعه الحذق باللقف "[١٩٤]، وتذكرنا هذه الوصية الطريفة بوصية خالويه لابنه عند موته في أصول الكدية التي أوردها الجاحظ في أثناء حديث هذا المكدي الشهير في البخلاء[١٩٥]، وفي ذلك كله ما يمكن أن يدل على مضمون هذا الكتاب، وأسلوب الجاحظ فيه في وضع القصص والحكايات في حيل اللصوص ونوادرهم ووصاياهم، وجعل كل قصة منها مخصصة لواحد من هؤلاء اللصوص الذين كان يعرف بعضهم ويجالسه، ويسمع بأخبار بعضهم الآخر وأحاديثه، فاتخذ من ذلك مادة لهذه القصص، شأنها في ذلك شأن قصص البخلاء وأحاديثهم.

ويعد كتاب البخلاء من أهم آثار الجاحظ القصصية التي تكشف لنا عن طرقه وأساليبه في اختيار المواقف والأحداث وتطويرها، ورسم الشخصيات وتصويرها، ووصف بيئاتها، وهيئاتها وحركاتها، وتحليل الدوافع النفسيه الكامنة وراء تصرفاتها، وإجراء الحوار على ألسنتها، وبث روح السخرية فيه، تلوينه بألوان ثقافة العصر، فبلغ في ذلك غاية الإتقان والافتنان، وبدا مدركاً لقواعد هذا الفن وغاياته وأساليبه، فأبدى بعض الملاحظات النقدية التي تتصل بهذه الجوانب، فأشار إلى أثر الحوافز الفنية في توليد أحداث قصصه ونسبتها إلى بعض الشخصيات، ونبه على أهمية مشاكلة الأفعال والأقوال للشخصيات، فقال في مقدمته: " هذا كتاب لا أغرك منه، ولا أستر عنك عيبه لأنه لا يجوز أن يكمل لما تريده، ولا يجوز أن يوفي حقه كما ينبغي له... فلو أن رجلاً ألزق نادرة بأبي الحارث جمين.. ثم كانت باردة لجرت على أحسن ما يكون، ولو ولد نادرة حارة في نفسها مليحة في معناها ثم أضافها.. إلى بعض البغضاء لعادت باردة... وكما أنت لو ولدت كلاماً في الزهد وموعظة الناس ثم قلت: هذا من كلام بكر بن عبدالله المزين.. لتضاعف حسنه... ولو قلت: قالها... أبو نواس الشاعر أو حسين الخليع لما كان لها إلا مالها في نفسها "[١٩٦] وكشف عن مصادر أحداث قصصه وشخصياتها واعتماده فيها على الحياة أو المحاكاة، فقال في

التعليق على بعض ما يروى من قصص وحكايات تبدو فيها آثار المبالغة والإفراط "إن الإفراط لا غاية له: وإنما نحكي ما كان في الناس وما يجوز أن يكون منهم" مشيراً بذلك إلى مبدأ الاحتمال الذي يعد من أهم المبادئ النقدية التي يعتمد عليها كتاب القصة للإيهام بواقعية أحداثها وإمكان وجود شخصياتها(١٩٧).

وتحدث عن الحوار القصصي، فأكد ضرورة ارتباطه بشخصيات القصة، والتعبير من خلاله عن أقدارها وثقافاتها تعبيراً واقعياً ودقيقاً، وإن أدى ذلك إلى مخالفة قواعد اللغة وأصولها فقال:

"وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب، أو لفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا أنا إنما تركنا ذلك لأن الإعراب يبغض هذا الباب، ويخرجه عن حده، إلا أن أحكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه"(١٩٨)، وكان لهذا الرأي النقدي تطبيق واسع لديه في قصص البخلاء وغيرها؛ إذ نقف فيها على كثير من الألفاظ العامية المبتذلة أو التعابير التي تحكي كلام العامة والمولدين بما فيه من خطأ أو لحن أو إسفاف، كما نقف فيها على صور مختلفة من كلام الخاصة والعلماء وأصحاب المهن والصناعات وغيرهم، وربما كان لهذه النزعة الواقعية في أساليب القص والحوار لديه أثر في توجيه بعض آرائه النقدية في مشاكلة اللفظ للمعنى ومناسبة المقال للمقام كقوله: "إن لكل معنى شريف أو وضيع، هزل أو جد أو حزم أو صناعة ضرباً من اللفظ هو حظه وحقه ونصيبه الذي لا ينبغي أن يجاوزه أو يقصر دونه"(١٩٩) أو قوله في الدعوة إلى تحقيق المشاكلة بين المواقف المختلفة والأحاديث وما يناسبها من الألفاظ والتعابير بغض النظر عن شرفها أو سخفها أو جزالتها وفصاحتها: " فلكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال، وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك ومله وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الإعراب انقلب عن جهته، وإذا كان في لفظه سخف، فبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أنه يسرّ النفوس يكربها"(٢٠٠)، فكان بذلك أسبق النقاد إلى تناول هذه الجوانب الدقيقة في لغة القصة والحوار.

على أن هذا الاتجاه الفني في القص وتوليد الأخبار والأحاديث والأقوال كان سبباً للغض منه، واتهامه بالكذب والوضع والعبث لدى بعض المؤلفين والنقاد، فقال ابن قتيبة (-٢٧٦هـ) عنه إنه: "يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث... وهو مع هذا أكذب الأمة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل"[٢٠١]. ووقف البغدادي (-٤٢٩هـ) على بعض كتبه التي صور فيها حيل اللصوص والشطار والمكدين فوجد أنها تعكس صورته وأخلاقه، وحذر من مخاطرها الاجتماعية ومفاسدها فقال: "وأما كتبه المزخرفة فأصناف منها كتاب حيل اللصوص وقد علم به الفسقة وجوه السرقة... ومنها كتابه في النواميس، وهو ذريعة للمحتالين يحتلبون بها ودائع الناس وأموالهم... وحيل المكدين، ومعاني هذه الكتب لائقة به وبصفته"[٢٠٢] وزاد على ذلك الأسفراييني (-٤٧١هـ) إذ وجد فيها ما يخالف الشرع والمروءة، فقال: "ومن كتبه: حيل اللصوص يعلم فيه اللصوص الحيل التي يتوصلون بها إلى الفساد بمدحهم بالشطارة، ويزعم أنها من مروءتهم... ومن عد الدعارة والشطارة من المروءة وزينها وحث عليها فقد خالف الشريعة والمروءة"[٢٠٣]. وفي ذلك دلالة واضحة على طبيعة الموقف الأدبي والنقدي من هذه القصص الواقعية، وأثر المعيار الديني والأخلاقي في توجيه هذا الموقف.

بيد أن للجاحظ رأياً آخر مغايراً في جدوى هذه القصص وفائدتها، إذ يرى أنها تكشف للناس عن حيل اللصوص، وأساليب المكدين، وحجج البخلاء، فيقول في مقدمة البخلاء: " ذكرت – حفظك الله – أنك قرأت كتابي في حيل لصوص النهار، وفي تفصيل حيل سراق الليل، وأنك سددت به كل خلل، وحصنت به كل عورة، وتقدمت – بما أفادك من لطائف الخدع، ونبهك عليه في غرائب الحيل – فيما عسى ألا يبلغه كيد، ولا يجوزه مكر، وذكرت أن قدر نفعه عظيم، وأن التقدم في درسه واجب وقلت: اذكر لي نوادر البخلاء، واحتجاج الأشحاء، لجعل الهزل مستراحاً، والراحة جماماً... وقلت: بيّن لي ما الشيء الذي خبل عقولهم، وأفسد أذهانهم... وقلت: ولابد من أن تعرفني الهنات التي نمت على المتكلفين، ودلت على حقائق المتموهين... لتقف

عندها، ولتعرض نفسك عليها، ولتتوهم مواقعها وعواقبها، فإن نبهك التصفح لها على عيب قد أغفلته، عرفت مكانه فاجتنبته... وإني إن حصنت من الذم عرضك، بعد أن حصنت من اللصوص مالك، فقد بلغت لك ما لم يبلغه أب بار، ولا أم رؤوم، ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبين حجة طريفة، أو تعرف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت من ضحك معه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد"(٢٠٤). فجمع في هذا القول مجمل الغايات التي يتوخاها من هذه القصص، وأشار في خاتمته إلى الغاية الفنية التي تكمن وراء ابتداعها وتوليدها وحسن صياغتها وتأليفها، والانتقال بها من مستوى الخبر العادي إلى مستوى الأدب الابتداعي، أو القصص الفني.

وقد تنبه المسعودي (-٢٤٦هـ) على هذه الغاية التي تتجلى في بعض كتب الجاحظ وأخباره فقال في معرض الموازنة بينها وبين كتب بعض معاصريه وأخباره: " وقد كان أبو الحسن المدائني (-٢٢٥ هـ) كثير الكتب، إلا أنه كان يؤدي ما يسمع، وكتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان، تكشف البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم، ورصفها أحسن رصف، وكساها من كلامه أجزل لفظ(٢٠٥).

الفن القصصي وتطوره في القرن الرابع الهجري

ازداد إقبال الناس على قراءة القصص والأسمار في العصر العباسي؛ إذ وجدوا فيها متعة وتسلية وبديلاً من ثقافة الخاصة من العلماء والأدباء والشعراء، وكانت الطبقة المترفة أكثرهم رغبة فيها، فروى الصولي (-٢٣٥هـ) أن الراضي (ولي ٣٢٢-٣٢٩هـ) كان في أيام إمارته يقرأ عليه اللغة والأخبار والشعر " إذ جاء خدم من خدم جدته فأخذوا جميع ما بين يديه من الكتب ومضوا ثم ردوا الكتب بحالها. فقال لهم الراضي، قولوا لمن أمركم بهذا: قد رأيتم هذه الكتب، وإنما هي كتب فقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء ومن كمله الله بالنظر في مثلها وينفعه بها، وليست من كتبكم التي تبالغون فيها مثل: عجائب البحر و حديث سندباد والسنور والفأر "[٢٠٦] فاتجه كثير من الكتاب إلى تأليف هذه الكتب، وكان كثير منهم من ندماء الخلفاء والأمراء شأن أبي العنبس الصيمري (-٢٧٥هـ) الذي صرف معظم جهوده في تأليف القصص والأسمار مثل "عجائب البحر" و"عنقاء مغرب"و"الفاس بن الحائك" و"أخبار أبي فرعون كدر بن جحدر" و"العاشق والمعشوق"[٢٠٧]

وكانت قصص العشق المبتدعة أو المستمدة من أخبار بعض العشاق المعروفين تستأثر بنصيب وافر من اهتمام هؤلاء الكتاب والمؤلفين، من ذلك "كتاب المتيمين"[٢٠٨] لابن أبي خيثمة (-٢٧٩هـ) و"كتاب المتيمين"[٢٠٩] لأبي إسحق الطلحي (-٢٩٠هـ) أيضاً، و"كتاب المغرمين"[٢١٠] لأحمد بن أبي طاهر طيفور (-٢٨٠هـ) و" كتاب اعتلال القلوب في أحاديث المحبة والمحبين"[٢١١] للخرائطي (-٣٢٧هـ) و "كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق"[٢١٢] لابن خلاد الرامهرمزي (-٢٦٠هـ) و "كتاب الرياض" للمرزباني (-٣٨٤هـ) وهو أوعب هذه الكتب وأوسعها، إذ جمع فيه أخبار المتيمين مصنفة أبواباً، وفيه ذكر الحب وما يتشعب منه وذكر ابتدائه وانتهائه، وما ذكر أهل اللغة من أسمائه وأجناسه واشتقاقات تلك الأسماء بشواهد من أشعار الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين، في أكثر من ثلاثة آلاف ورقة[٢١٣].

كما جمع الجهشياري (-٣٣١هـ) قصص العرب والعجم والروم وأسمارهم، لتكون

مادة لكتاب ضخم يشتمل على ألف سمر على سنة ألف ليلة وليلة، ولكن المنية عاجلته قبل إتمامه، وقال ابن النديم في ذلك إن: " محمد بن عبدوس الجهشياري ابتدأ بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم، كل جزء قائم بذاته لا يتعلق بغيره، وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما حلا بنفسه، فاجتمع له من ذلك أربعمائة وثمانون ليلة، كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأكثر وأقل، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتمية ألف سمر، ورأيت من ذلك عدة أجزاء"(٢١٤) وفي هذا الخبر ما يدل على أن القصص والأسمار لم تكن مقصورة على الكتب أو محصورة فيها فحسب، إذ كانت هنالك فئة من المسامرين الذين يجيدون القص، ويحفظون الأسمار، ويتعيشون بذلك، كما كان بعض الأدباء والشعراء والندماء يحفظ الكثير منها، فروي عن الخالدي أبي بكر (نحو ٣٨٠هـ) قوله: إني أحفظ ألف سمر، كل سمر في نحو مائة ورقة.(٢١٥)

ونقل بعض المشارقة هذا الفن إلى الأندلس، فألف أبو العلاء صاعد (-٤١٧هـ) بعض القصص، ومنها قصة "الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء، وهو كتاب لطيف ممتع... وكان المنصور [بن أبي عامر] كثير الشغف بهذا الكتاب حتى رتب له من يقرؤه بحضرته كل ليلة، وصنف له أيضاً "كتاب المجفجف بن غيدقان مع الخفوت بنت مخرمة بن أنيف بن أسيف"(٢١٦).

وكان لاضطراب أمور الحكم والسياسة في ذلك العصر أصداء قوية في بعض القصص التي تحكي صور هذا الاضطراب، وتتحدث عن الطغاة من الملوك والوزراء أو الصالحين، وسبل تدبير الممالك وإصلاحها، كقصص أحمد بن أبي طاهر طيفور: "الملك البابلي والملك المصري الباغيين" و"الملك المصلح والوزير المعين" و"الملك الحليم الرومي" و"خبر الملك العاني في تدبير المملكة"(٢١٧).

واستأثرت القصص الأخلاقية التي تهدف إلى تهذيب النفوس باهتمام عدد من الكتاب الذين وجدوا في حياة الناس وأخبارهم مواد صالحة لهذه القصص، فتعاقبوا على تأليفها في عدد من الموضوعات المتشابهة، ومن ذلك "الفرج بعد الشدة" و"الصبر والثواب" و"من عاش بعد الموت" و"اصطناع المعروف" لابن أبي الدنيا

(–٢٨١هـ)[٢١٨] و"القناعة والتعفف" و "المجالسة وجواهر العلم" الذي يشتمل على أحاديث وقصص ومقامات في سبعة وأربعين باباً[٢١٩] لأبي بكر الدينوري (–٣١٠هـ)، و"الفرج بعد الشدة" لعمر بن يوسف (–٣٢٨هـ)[٢٢٠] و"المكافأة والعقبى" لابن الداية (–٣٤٠هـ)[٢٢١] وهو من أهم ما وصل إلينا من هذه الكتب، ويشتمل على مقدمة وثلاثة فصول، ضمن أولها إحدى وثلاثين قصة في المكافأة على الحسن، وجمع في الثاني إحدى وعشرين في المكافأة على القبيح، وأورد في آخرها تسع عشرة قصة في حسن العقبى، واستمد معظمها من الحياة الجارية في بيئته المصرية، وجرى فيها على انتخاب الأخبار أو الأحداث أو المواقف الصالحة لبناء قصة فنية تبدأ – على الأغلب – بموقف متأزم ومثير يتدرج إلى الانفراج، ليصل إلى نهايته المرسومة التي تتجلى فيها الغاية المتوخاة، وتتصل عادة بانتصار قيم الخير والفضيلة والمروءة معبراً عن ذلك كله بأسلوب ممتع، وحوار رشيق، ولغة سهلة تضم كثيراً من الألفاظ والتعابير الدارجة على ألسنة الناس في عصره، مما أسبغ على هذه القصص القصيرة صبغة واقعية دونما إسفاف أو ابتذال. وقد ضمن مقدمته وبعض قصصه بعض الآراء النقدية التي يتصل معظمها بغايات هذه القصص ومغازيها التي أجملها في قوله الذي مهد به للفصل الثالث: "وإذا وفيناك ما وعدناك به من أخبار المكافأة على الحسن والقبيح مارجونا أن يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير، وتطلب العارفة في الحسن، وزجر النفس عن متابعة الشر، وإبعادها عن سورة الانتقام في القبيح.. وقد رأيت – حفظك الله – أن أصل ذلك بطرف من أخبار من ابتلي فصبر، فكان ثمرة صبره حسن العقبى والتفكير في أخبار هذا الباب مما يشجع النفس، ويبعثها على ملازمة الصبر، وحسن الأدب مع الرب – عز وجل – بحسن الظن في مواتاة الإحسان عند نهاية الامتحان"[٢٢٢].

على أن أشهر من ألف في هذا النوع من القصص هو المحسن التنوخي (–٣٨٤هـ)[٢٢٣] صاحب "الفرج بعد الشدة" و"المستجاد من فعلات الأجواد" و"نشوار المحاضرة" وهو أهم هذه الكتب وأشهرها، وقد قضى في تأليفه عشرين

سنة[٢٢٤]، وضمنه مجموعة كبيرة من القصص التي تحكي صوراً مختلفة من حياة الملوك والوزراء والكتاب والشعراء والشجعان والجبناء والوراقين والمعلمين والقصاص والزهاد والقضاة واللصوص والمكدين والعيارين والشطار والمغنين والأطباء والكحالين والتجار والحرائر والإماء من النساء وأصحاب المهن والصناعات وغيرهم، ولم يرتبها على وجه محدد، فسلك فيها مسلك الاستطراد والانتقال من قصة إلى أخرى، ومن جد إلى هزل، ومن حلو إلى مر، وعلل ذلك تعليلاً نفسياً يرتبط بنشاط القارئ ودفع الملل والسآمة عنه، وحثه على مواصلة القراءة وتشويقه بالانتقال به من حال إلى حال، ومن قديم إلى محدث، فقال في مقدمته: "وأوردت ما كتبته.. من غير أن أجعله أبواباً مبوبة، ولا أصنفه أنواعاً مرتبة.. ولو شغلت نفسي فيه بالنظم والتأليف والترتيب والتصنيف لبرد واستثقل، وكان إذا وقف قارئه على خبر من أول كل باب منه علم أن مثله باقيه، فقل لقراءة جميعه ارتياحه ونشاطه... واختلاطها أطيب في الآذان وأدخل، وأخف على القلوب من الآذان وأوصل"[٢٢٥]. وهو في ذلك يجري على سنة شيخه الأصبهاني (بعد ٣٦٢هـ) في ترتيب أخبار الأغاني "ليكون للقارئ له بانتقاله من خبر إلى غيره، ومن قصة إلى سواها، ومن أخبار قديمة إلى محدثة، ومليك إلى سوقة، وجد إلى هزل، أنشط لقراءته، وأشهى لتصفح فنونه"[٢٢٦].

وقد مهّد لهذه القصص بمقدمة طويلة، ضمنها بعض الآراء النقدية المهمة التي تتصل بهذا الفن: أصوله وقواعده وأساليبه وغاياته ومنهجه فيه ومصادره، فذكر أنه استقى أكثر قصصه من أفواه الرجال وما يدور في مجالس السمر من قصص وحكايات، وكشف عن دوره في إعادة صياغة هذه الحكايات الشفوية وتحويلها إلى قصص فنية مدونة، فقال: " وكان القوم الذين أخذت ذلك عنهم يحكونه في أثناء مذاكراتهم صلة للمجالسة، وفتحاً للمؤانسة، وسيراً لأحاديث الدنيا، فأحفظ عنهم ذلك في حال، وأستفيده في أحوال، فلما تطاولت السنون، ومات المشيخة الذين كانوا مادة في هذا الفن، ووجدت ما كان في حفظي من تلك الحكايات قديماً قد قل، وما جرى من الأفواه في معناها قد اختل، حتى صار من يحكي كثيراً مما سمعناه يخلطه بما

يحيله ويفسده، فأثبت ما بقي علي مما كنت أحفظه قديماً، واعتقدت إثبات كل ما أسمعه من هذا الجنس، وتلميعه بما يحث على قراءته[٢٢٧].

وتحدث باعتزاز كبير عن سبقه إلى التأليف في هذا الفن، وعده جنساً أدبياً محدثاً وجديداً تستقى مادته من الحياة والحكايات دون الأخبار المدونة في الكتب، فقال في مقدمة الجزء الأول: "وهذه الأخبار جنس لم يسبق إلى كتبه، وأنا إنما تلقطته من الأفواه دون الأوراق... ولعل كثيراً مما فيها لا نظير له ولا شكل، وهو وحده جنس وأصل"[٢٢٨] وعاد في مقدمة الجزء الثاني إلى تأكيد سبقه إلى تأليف هذه القصص وتدوينها وابتداع كثير منها، وتضمينها العبر والفوائد و الطرائف، والتنويع فيها، وتلوينها بصور الحياة المختلفة، فقال: "قد قدمت في الجزء الأول وذكرت من الأخبار ما لم تدر، لأنها مما لم تجر العادة بكتب مثلها وإنها من جنس ما سبقت إلى كتبه.. وذكرت أنها تتضمن من شريف الفوائد، وطريف المآثر كل لون... من قصص الأمجاد، وأحاديث الأفراد، ومعايب البخال، ونوادر الجهال، وطريف الاتفاقات.. وأخبار ضروب الناس مما لا تعبر عنه الكتب، ولا يكاد يوجد مسطوراً عند أهل الأدب"[٢٢٩]. مشيراً بذلك إلى تفرد هذا الفن وغيره من الفنون الأدبية بنقل صور الحياة المختلفة وتخليدها، وهي ملاحظة مهمة ودقيقة، قلما وجدنا من يتنبه لها، أو يشير إليها إشارة نقدية واضحة، وإن كانت من الناحية التطبيقية ظاهرة في كثير من القصص التي ألفها عدد كبير من الكتاب قبل التنوخي، وأبدوا بعض الملاحظات في أصولها وخصائصها وأساليبها، وكان لذلك كله آثار ظاهرة في قصصه وآرائه النقدية، إذ وجدناه يحذو حذو الجاحظ في التفريق بين القصص والأخبار الأدبية أو التاريخية والحكايات المدونة أو المروية، والتنبيه على بعض أوجه الاختلاف بين هذه الأنواع الثلاثة فيقول في صدر مقدمته: " هذه ألفاظ التقطتها من أفواه الرجال في المجالس، وأكثرها مما لا يكاد يتجاوز به الحفظ في الضمائر إلى التخليد في الدفاتر، وأظنها ما سبقت إلى كتب مثله، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه، والعادة جارية في مثله أن يحفظ إذا سمع ليذاكر به... ولعل قارئها أن يستضعفها إذا وجدها

خارجة عن السنن المعروفة في الأخبار، والطريق المألوفة في الحكايات والآثار الراتبة في الكتب المتداولة بين أهل الأدب"[٢٣٠].

وواضح أن أهم هذه الفروق في نظره أن الحكاية إنما هي أسمار شفوية تروى في المجالس على سبيل التمثل والأنس والمذاكرة، دون أن يكون أكثرها مدوناً في صحيفة أو كتاب، أما الأخبار فإن الغاية المتوخاة منها عادة هي صحة النقل ودقته لصلتها بتواريخ الدول أو الآداب أو الرجال، وهي بذلك تختلف عن القصة التي تعد نوعاً أدبياً متميزاً، يعتمد على الإبداع والابتكار والمحاكاة وقد يستمد من الحكايات المروية والأخبار ما يصلح لبناء قصة فنية، بعد تلوينها بألوان الفن القصصي، وتلميعها، وإضفاء مسحة الجمال والتشويق عليها، بغض النظر عن صحة الرواية أو ضعفها ولذلك وجدناه يعتمد في كثير من قصصه على مرويات بعض من اشتهروا بافتعال الأخبار والأحاديث وتوليدها كأبي القاسم الجهني القاضي الذي اعتمد على بعض أخباره وأحاديثه في عدد من قصصه.[٢٣١] وكان من ندماء الوزير المهلبي، وقال بعض أصحابه إنه "كان يشتمل على آداب يتميز بها، إلا أنه كان فاحش الكذب، يورد من الحكايات ما لا يعلق بقبول، ولا يدخل في معقول، وكان أبو محمد المهلبي قد ألف ذلك منه.. وكنا لا نخلو في حديثه من التعجب والاستظراف والاستبعاد، وكان ذلك لا يزيده إلا إغراقاً في قوله، وتمادياً في فعله"[٢٣٢]، وفي هذا النوع من الحكايات يجد التنوخي وأضرابه من كتاب القصة مواد صالحة لقصصهم، كما يتجلى ذلك واضحاً في قصص "الفرج بعد الشدة".

وليس يقل هذا الكتاب شهرة وأهمية عن النشوار، فقال الثعالبي (-٤٢٩ هـ): "وله كتاب الفرج بعد الشدة، وناهيك بحسنه وإمتاع فنه، وما جرى من الفأل بيمنه لا جرم أنه أسير من الأمثال وأسرى من الخيال"[٢٣٣] وقد جرى فيه على سنة النشوار، فضمنه إحدى وتسعين وأربعمائة قصة استمد أكثرها من مشاهداته ومسموعاته وتجاربه، واعتمد في بعضها على ما في الكتب المدونة من أخبار تدخل في معاني أبوابه الأربعة عشر،[٢٣٤] واستوعب فيه أكثر ما اشتملت عليه الكتب المؤلفة

قبله في الفرج بعد الشدة، ومهد له بمقدمة ذات أهمية نقدية، بدأها بالحديث عن تلك الكتب، فبين أوجه الاختلاف بينها وبين كتابه، إذ هي – في نظره – كتب أخبار مروية، لا تدخل في باب القصص الفنية التي رمى إلى تأليفها، وإن كانت تتفق معها في بعض غاياتها وموضوعاتها، مما حدا به إلى تأليف كتابه، والقول في مقدمته: " وكنت وقفت على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن المدائني (–٣٢٥هـ) وسماها " الفرج بعد الشدة والضيق "فوجدتها حسنة، ولكنها لقلتها أنموذج صبرة... ووقع إلي كتاب ابن أبي الدنيا (–٢٨١هـ)...في نحو عشرين ورقة، والغالب عليه أحاديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأخبار عن الصحابة والتابعين يدخل بعضها في معنى ما طلبته.. وقرأت أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسين عمر بن محمد بن يوسف (– ٣٢٨هـ) في مقدار خمسين ورقة.. أودعه أكثر ما رواه المدائني وجمعه، وأضاف إليه أخباراً أخر اكثرها حسن، ومنها ما هو غير مماثل عندي لما عزاه، ولا مشاكل لما نحاه... وكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن أكثر مما جمعه القوم، وأشرح، وأبين للمغزى، وأكشف وأوضح، وأن أخالف مذهبهم في التصنيف، وأعدل عن طريقتهم في الجمع والتأليف "(٢٣٥).

وأشار في هذه المقدمة إلى غايات هذه القصص ومغازيها، واتخاذه مبدأ الانتخاب أساساً في اختيار الأخبار والأحداث المناسبة لهذه الغايات، معتمداً في ذلك على خبرته الواسعة بالحياة، وإحساسه الخاص بأحداثها، فقال: "والله قد أجرى أمور عباده على التقلب في شدة ورخاء... علماً منه بعواقب الأمور، ومصلحة الكافة والجمهور. وأخبار ذلك كثيرة... وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة، ولا مستطابة الذكر والإعادة، فاقتصرت على كتب أحسن مارويت "(٢٣٦)، ولم يكن في ذلك مجرد راوية للخبر أو الحدث، إذ كان يتخذ منها مادة وموضوعاً، يتصرف فيه، ويضفي عليه من آثار الفن وعناصر الوصف والتشويق والحوار ما يكفي للانتقال به من مستوى الرواية أو الحكاية إلى مستوى القصة الفنية، ومن ذلك الأخبار الكثيرة التي استلّها من كتاب الأغاني، وهو من الكتب التي أجازها شيخه الأصبهاني بروايتها

قراءة عليه[٢٣٧]، إذ وجدناه يتصرف فيها تصرفاً واسعاً يشمل أوصاف البيئة والشخصيات والحوار والأحداث، ويعيد صياغتها صياغة فنية جديدة يستوفي فيها عناصر القص ولوازمها[٢٣٨]، ولا يجد في ذلك حرجاً؛ إذ كان قد نبه على أوجه الفرق والاختلاف بين هذه القصص الفنية والأخبار المروية في قوله الذي مر بنا قبل قليل: "هذه ألفاظ تلقطتها... ولعل قارئها أن يستضعفها إذا وجدها خارجة عن السنن المعروفة في الأخبار، والطريق المألوفة في الحكايات والآثار الراتبة في الكتب المتداولة بين أهل الأدب"[٢٣٩]. وكانت هذه الملاحظة النقدية الدقيقة وأشباهها من الملاحظات والآراء التي أبداها التنوخي من أهم ما نقف عليه من آراء الأدباء والنقاد العرب وملاحظاتهم في أصول الفن القصصي وأساليبه، وكان للجاحظ فضل السبق إلى كثير منها، فظهرت أصداء آرائه التي مرت بنا من قبل واضحة لدى التنوخي، وإن أغفل الإشارة إليها، كما أغفل الإشارة إلى جهود كثير من الأدباء والكتاب الذين سبقوه في تأليف القصص وتوليدها، فأكد غير ما مرة أنه لم يسبق إلى كَتْب مثلها من قبل.

ومما نقف عليه من هذه الآراء والملاحظات قول أبي حيان التوحيدي (نحو ٤٠٠هـ) في تعليل حاجة الإنسان إلى القصص والأسمار، وصلتها بالخرافات والخيال تعليلاً فلسفياً يرتبط بالفطرة والحس والشغف بكل ما هو معجب ومستغرب ومطرب: "ولفرط الحاجة إلى الحديث ما وضع فيه الباطل، وخلط بالمحال ووصل بما يعجب ويضحك ولا يؤول إلى تحصيل وتحقيق، مثل: "هزار أفسان" وكل ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات، والحس شديد اللهج بالحادث والمحدث والحديث، لأنه قريب العهد بالكون، وله نصيب من الطرافة"[٢٤٠]، ولأبي حيان مشاركة واسعة في هذا الباب، إذ روى لنا في بعض كتبه عدداً من القصص العربية أو المعربة، كما أسهم من تأليف بعض هذه القصص وتوليدها[٢٤١]، شأنه من ذلك شأن معاصره وصاحبه مسكويه (-٤٢١هـ) الذي ألف بعض القصص والحكايات وجمعها في كتابه "أنس الفريد" وقيل إنه "أحسن كتاب صنف في الحكايات القصار والفوائد اللطاف"[٢٤٢].

ومن المرجح أن يكون أبو حيان قد ألف "حكاية أبي القاسم البغدادي"، ونسبها إلى أبي المطهر الأزدي محمد بن أحمد[٢٤٣] وهي حكاية طويلة، تصور بعض جوانب الحياة الاجتماعية ومجالس اللهو والمجون في بغداد وأصبهان، وتصف أخلاق البغداديين وعاداتهم وأقوالهم، وتجري أحداثها في مجلس من مجالس اللهو بأصبهان كان بطل القصة البغدادي الشاطر قد حل على أهله متطفلاً، وقضى معهم يوماً كاملاً، وأظهر لهم من ضروب الاحتيال، وفنون القول وألوان الأحاديث ما أثار دهشتهم، قبل أن يودعهم مشيعاً بنظرات الإعجاب والاستغراب، وقد مهد لهذه الحكاية بمقدمة قال فيها: "هذه حكاية عن رجل بغدادي كنت أعاشره برهة من الدهر، فيتفق منه ألفاظ مستحسنة ومستخشنة، وعبارات... مستفصحة ومستفضحة، فأثبتها في خاطري كالتذكرة في معرفة أخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم، وكالنموذج تحتها نوعهم، وتشترك فيها أشخاص ذلك النوع على أحد واحد، بحيث لا يختلفون فيها إلا باختلاف الرتب، وتفاوت المنازل، ولعلي صرت في ذلك كما قال الجاحظ في فصل من كلامه: وأنا مع هذا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن...، كذلك تكون حكايته للمغربي والخراساني والأهوازي والسندي والزنجي، نعم حتى تجده أطبع منهم، فأما إذا حكى كلام الفأفأة فكأنه قد جمع كل طرفة في كلام كل فأفأة في الأرض في لسان واحد، كما أنك تجده يحاكي الأعمى بصورة ينشئها بوجهه وعينه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك"[٢٤٤] وفي هذا القول دلالة واضحة على إحساس مؤلف هذه الحكاية بقدرة هذا الفن على تصوير حياة الناس وأفعالهم وأقوالهم ووصف أحوالهم وأساليب عيشهم وبيئاتهم، معتمداً في ذلك على رأي الجاحظ في محاكاة الأفعال والأقوال، وقد كان لهذا الرأي أثر كبير في توجيه آراء بعض الدارسين إلى عد هذه الحكاية لوناً أدبياً جديداً أقرب إلى المسرح والمحاكاة من أي لون أدبي آخر[٢٤٥] وإن كنا لا نجد فيها - كما أراد لها مؤلفها أن تكون - سوى قصة أو حكاية اختار لها مؤلفها زماناً ومكاناً محددين، وأولى فيها أوصاف البيئة والشخصيات والحوار عناية خاصة، ومهد لها بمقدمة أوضح فيها غاياتها ومغازيها، واستمد من قول الجاحظ ما يسوغ أفعال أبي القاسم البغدادي وأقواله.

المقامات والموقف النقدي منها:

كما وجد بعض الدارسين في المقامات أيضاً ظاهرة من الظواهر المسرحية عند العرب[٢٤٦]، وهي - في نظرنا - لون من القصص المميز بخصائصه الفنية، وكان بديع الزمان الهمذاني (-٣٩٨هـ) أول من ابتكره في أواخر القرن الرابع الهجري، واستمد معظم موضوعاته من حيل المكدين وأحاديثهم، وصور فيه بعض جوانب الحياة العامة في عصره، وذهب الحصري (-٤٥٣هـ) إلى أنه "لما رأى أبا بكر بن دريد أغرب بأربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، واستنخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر في معارض أعجمية، وألفاظ حوشية، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع، ولاترفع له حجبها الأسماع، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب متصرفة، عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفاً وتقطر حسناً، لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى"[٢٤٧].

ويفهم من ذلك أن لابن دريد أربعين حكاية ابتدعها من فكره وخياله، وصاغها بألفاظ حوشية مسجعة لغاية تعليمية، فلم تلق القبول والاستحسان لما فيها من إغراب وتعقيد، فعارضها البديع بمقاماته وحكاياته، واختار الكدية موضوعاً لأكثرها، وعرضها بقالب فني مبتكر وجديد، يعتمد على الحوار الممتع والطريف، والألفاظ الغريبة، والأسلوب المسجع والملون بألوان البديع، وكانت الغاية التعليمية غرضاً من جملة أغراضها وغاياتها، فحظيت بالاستحسان والقبول، وصادفت الشهرة والذيوع، وليس يعدو مفهوم المعارضة في هذا النص حدود توليد الحكايات والأحاديث وتضمينها السجع والغريب من اللفظ لغاية تعليمية، وإن كان د. زكي مبارك قد استنتج منها أن "بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات، وإنما ابتكره ابن دريد (-٣٢١هـ)".[٢٤٨] ولم نجد في قصص ابن دريد وأحاديثه التي وصلت إلينا ما يسوغ هذا الرأي، فهي لا تكاد تخرج عن أساليب العرب المعروفة في حكاياتهم وأحاديثهم وأخبارهم ومروياتهم[٢٤٩] وتختلف عن مقامات البديع في موضوعاتها

وغاياتها وأساليب عرضها وطريقة بنائها وتأليفها، وقد استمد أكثرها من حياة الساسانيين وحيلهم وأخبارهم، وضمنها أحاديثهم وأقوالهم وأشعارهم، وهم فئة من المكدين اتخذوا الشعر والفصاحة والبلاغة سبيلاً إلى ابتزاز الأموال، والاحتيال على الناس، ووجد الأدباء والمؤلفون في أحاديثهم وأخبارهم مواد غزيرة وطريفة لكتبهم، وكان الجاحظ من أسبقهم إلى ذلك، فضمّن بعض كتبه ورسائله أطرافاً كثيرة منها، وخصص بعض هذه الكتب لحيلهم وقصصهم وأخبارهم كما مر بنا من قبل، وكان لذلك أثره في مقامات البديع، فذهب د. شوقي ضيف إلى القول: "إن ابن دريد قد وجهه ليكتب أحاديث تعليمية فأثر فيه من جهة الشكل، أما الجاحظ فأثر فيه من جهة الموضوع، إذ جعله يدير أحاديثه أو مقاماته على الكدية"[٢٥٠] كما كان للقصاصين أثر ظاهر في هذه المقامات، وقد بالغت د. وديعة نجم في إبراز قوة هذا الأثر ووجدت في شخصية القاص صورة لبطل المقامات ورابطاً بين هذين الفنين "بعد أن أصبح القاص مكدياً ومحتالاً يظهر الوعظ ويبطن الاحتيال كما يظهر في المقامات"[٢٥١]. وإن كنا نجد في هذه العوامل مجتمعة – على اختلاف درجات تأثيرها – ما مهد لظهور هذا الفن، وألهم البديع فكرته وأسلوبه، ولعل أقواها – في نظرنا – إنما يتجلى في ظهور المكدين والساسانيين طبقة واسعة ومتميزة، لها آدابها وأحاديثها وأقوالها ومصطلحاتها وشعراؤها كالأحنف العكبري[٢٥٢] وأبي دلف الخزرجي[٢٥٣] الذي كان البديع نفسه راوية له، ونسب بعض أشعاره إلى بطل مقاماته الإسكندري في المقامة الساسانية[٢٥٤].

ومهما يكن من أمر، فقد اشتهرت هذه المقامات وتعاورها الأدباء والنقاد، واختصموا فيها، فأعجب بها بعضهم، وغض من شأنها آخرون، وبدا الهمذاني مزهواً بها، فتحدى خصومه الذين انتقصوا من قدرها، وعلى رأسهم غريمه الخوارزمي، أن يأتوا بمثلها، فكتب إلى بعض أصحابه يقول: "سألت – أمتع الله بك – عن الخوارزمي... ولو أنصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات أو عشر مفتريات، ثم عرضها على الأسماع والضمائر، وأهداها إلى الأبصار والبصائر، فإن

كانت تقبلها ولا تزجها، أو تأخذها ولا تمجها كان يعترض علينا بالقدح، وعلى إملائنا بالجرح، أو يقصر به سعيه، ويتداركه وهنه، فيعلم أن من أملى مقامات الكدية أربعمائة مقامة، لا مناسبة بين المقامتين لا لفظاً ولا معنى، وهو لا يقدر منها على عشر، حقيق بكشف عيوبه والسلام"(٢٥٥). وواضح أن تقدير الهمذاني لمقاماته لا يقتصر على ابتكارها فحسب، وإنما يتعداه إلى ميزاتها وخصائصها، وأوجه الإبداع والافتنان فيها، وذلك يتجلى - في نظره - باتفاق الموضوع فيها، واختلاف ألفاظها ومعانيها، وقد كرر هذا القول في رسالة أخرى يرد فيها على بعض خصومه فيقول: "إن من أملى من مقامات الكدية أربعمائه مقامة لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى ولا يقدر منها على عشر، حقيق ألا يهاج لكشف عيوبه"(٢٥٦).

وقد وافقت هذه المقامات أذواق أهل العصر وأهواءهم، لتعبيرها عن مظاهر العيش والحياة من حولهم، وانتقالهم من الهزل إلى الجد، واحتفالها بأشكال الصنعة اللفظية والبيانية، التي اشتهر بها البديع، وفي ذلك يقول معاصره الثعالبي (- ٤٢٩هـ): "ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور... فوافاها سنة ..٣٨٢. وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها، وضمنها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين من لفظ أنيق قريب المأخذ، بعيد المرام، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام وجد يروق ويملك القلوب، وهزل يشوق فيسحر العقول"(٢٥٧) وقد طبقت شهرة البديع بها الآفاق، فوصلت سريعاً إلى المغرب والأندلس، فوصفه ابن شهيد (-٤٢٦هـ) بأنه "زبدة الحقب"(٢٥٨) وحذا حذوه فيها ابن شرف القيرواني (-٤٦٠هـ) فنسج على منوالها بعض رسائله، وكتب على مثالها بعض مقاماته، وقال في تقدير دور البديع في ابتكارها وافتنانه في صياغتها وإنشائها، وما يتحقق من ورائها لطلاب البلاغة والبيان من منافع: "وقد زور البديع مقامات كان ينشئها بديهاً في أواخر مجالسه، وينسبها إلى راويه، وعدتها - فيما يزعم رواتها - عشرون، إلا أنه لم تصل هذه العدة إلينا، وهي متضمنة معاني مختلفة، ومبنية مباني شتى غير مؤتلفة، لينتفع بها الكتاب بصرفها من هزل إلى جد، ومن ند إلى ند، فأقمت من هذا النوع عشرين حديثاً"(٢٥٩).

وقد سار على هدي البديع في هذه المقامات عدد كبير من الكتاب، وكان الحريري (-٥١٦هـ)[٢٦٠] من أبرعهم فيها، فحظيت مقاماته بما لم تحظ به مقامات البديع أو غيره من ضروب الاهتمام النقدي[٢٦١] بعد أن أصبحت المقامات فناً من أوسع الفنون الأدبية عند العرب وأشهرها، وهي - في نظرنا - لون من ألوان القصة العربية، ووجه من وجوه تطورها.

خاتمة

وكانت القصة العربية قد بدأت في الجاهلية حكاية شفوية ترتبط بالخرافات والأساطير، وتفصح عن ثقافة العرب وآدابهم، وتعبر عن أخيلتهم وعواطفهم، ثم وجدت في قصص القرآن بعد الإسلام مادة غزيرة لها، وكان لهذه القصص أثر كبير في ظهور طبقة القصاصين الذين مثلوا دوراً بارزاً من أدوار القص عند العرب، وطوراً متميزاً من أطواره، كما كان للقصص المترجمة عن الفارسية وغيرها أثر لا ينكر في تطوير القصة العربية، فاتسعت بذلك آفاقها، وتنوعت مذاهبها وأساليبها، وألفت فيها كتب كثيرة جداً تشتمل على مجموعات كبيرة من القصص الرمزية على ألسنة الحيوانات والقصص الخيالية والقصص الواقعية التي أتينا على ذكر طائفة منها، وألمنا في أثناء ذلك بمراحل تطورها، وما واكبها من نقد.

وقد لاحظنا أن هذا النقد لم يكن يتجاوز حدود الملاحظات السريعة، أو الآراء القصيرة التي يقع معظمها في مقدمات بعض الكتاب لمجموعاتهم القصصية وكتبهم، ولم نجد لدى النقاد العرب اهتماماً كافياً بهذا الفن يواكب حركة التأليف فيه، ويعمل على توجيهه وتطويره، إذ كان جل اهتمامهم منصباً على الشعر والخطابة والترسل، وهي الفنون الأدبية الجادة والرصينة في نظرهم، فكان لذلك أثر كبير في قلة الاحتفال بالقصة العربية وتوجيه آراء بعض الدارسين المعاصرين فيها، فذهب غربناوم إلى القول إن لدى العرب نفوراً من الأدب الروائي والقصص، وعلل ذلك بما بثه الإسلام في نفوس العرب من القيم فقال: " إن المسلم العربي يحتقر الاختراع الأدبي، وحيثما استطاع جعل القصة تقريراً والاختراع أمراً واقعياً، وفي هذا النفور من الاستسلام لدوافع الخيال، والرغبة في البقاء داخل نطاق الحادث الواقعي يمكننا أن نستشف بعض العلاقة بنزعات معينة بثها الإسلام حول الإنسان، فوقف سداً دون الإيمان بمقدرته على الخلق "[٢٦٢] ويبدو أن د. غنيمي هلال قد تأثر بهذا الرأي وأشباهه، فأشار إلى فقر الأدب العربي في القصص، وعلل ذلك تعليلاً يتعلق بصلة العرب بالثقافة الأجنبية وموقفهم منها فقال: "إنهم كانوا يعدونها أجناساً أدبية دخيلة، ولم

يفطنوا إلى ما قد يكون لها من أثر اجتماعي أو فردي "[٢٦٣] أما د. زكي مبارك فقد أشار إلى غنى الأدب العربي بالقصص القصيرة وافتقاره إلى القصص الطويلة، وعلل ذلك ببساطة الطبائع العربية وقال: "إن فن القصة من الفنون الدخيلة على اللغة العربية، وقد يكون لبساطة الطبائع العربية أثر في وقوفهم عند القصص القصيرة"[٢٦٤].

وإذا كنا لا ننكر أثر القصص المترجمة في توسيع آفاق القصة العربية وتطويرها، فإن ذلك لا يعني أنها لم تكن موجودة من قبل، وقد مر بنا في هذه الدراسة أن العرب منذ الجاهلية قد عرفوا ألواناً مختلفة من القصص، وابتكروا بعد ذلك ألواناً جديدة أخرى لا عهد لغيرهم بها، وألفوا القصص على ألسنة الحيوانات، والقصص الخيالي والواقعي، وكان للقصص الطويلة نصيب وافر منها، وقد وصل إلينا عدد غير قليل منها، ومازال أكثرها مخطوطاً[٢٦٥] ولعل في نشره، والاحتفال بدراسته ونقده ما يمكن أن يسهم في تصحيح هذه الآراء وأشباهها، ويؤدي إلى تطوير بعض الأشكال القصصية الأصيلة وإحيائها.

الهوامش

١ - الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، ج ٥، ص ١١٨، والحارث بن أبي شمر الغساني. وأمه مارية بنت ظالم بن وهب الكندي، ذات القرطين، وكان يلقب بالأعرج (- بعد ٦٠ ق.هـ). وانظر ابن رشيق، **العمدة**، ج١، ص ١٣٨ وج٢ ص. ٩٥. وزهير بن جناب الكلبي: سيد قضاعة وخطيبها وشاعرها في الجاهلية، وكان يدعى بالكاهن لما عنده من العلم والرأي (- نحو ٦٠ ق.هـ)، وانظر الأصفهاني، **كتاب الأغاني** ج ١٩، ص ١٤ - ٢٩، والآمدي، **المؤتلف والمختلف**، ص ١٣٠، والزركلي، **الأعلام**، ج ٣، ص ٥١.

٢ - ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص١٦٧.

٣ - **سورة القلم** ٦٨/ ١٥، **والمطففين** ٨/ ١٣. والأساطير: ج أسطورة: ما سطر من الكذب والأباطيل المؤلفة والمزخرفة، يريدون بها القصص والأحاديث، وانظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: سطر، ج٤ ص ٣٦٣ - ٣٦٤، **وتفسير الجلالين**، ص ٥٠٧.

٤ - ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، ص ٣٠٠. وفي **الفهرست** لابن النديم ص٣٦٤: أن جبلة بن سالم الكاتب نقل كتاب رستم وإسنديار إلى العربية في صدر العصر العباسي، وهو في سير ملوك الفرس.

٥ - **سورة الفرقان** ٢٥/ ٥.

٦ - **سورة يوسف** ١٢/ ٣.

٧ - ابن سلام، القاسم، **فضائل القرآن**، مخطوط الظاهرية بدمشق، ج٧، الورقة أ - ب. وقارن بلاشير قصص القرآن بقصص التوراة وقال: "إذا ما قورن القصص القرآني ببعض الفصول المشابهة في سفر التكوين المثقلة باللغو والاستطرادات، ظهر أن القصص القرآني أعلى مرتبة بما لا يقاس". **تاريخ الأدب العربي**، ج٢، ص ٤٢.

٨ – سورة **يوسف** ١٢/٣.

٩ – الثعلبي، **قصص الأنبياء**، ص ٩٤.

١٠ – انظر مثلاً: ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٩ و ١٥ و١٧ و١٩ وغيرها كثير من المواضع التي اعتمد فيها على قصص التوراة في مبتدأ الخلق وقصص الأنبياء.

١١ – سزكين، **تاريخ التراث العربي**، مجلد ١، ج٢، ص١٢٢، وذكر أن له أصولاً خطية كثيرة في القاهرة واستامبول. ووقفت في الظاهرية بدمشق على: قصة الإسكندر، مخطوط في ستة أجزاء، برقم ١٠٢٥٢.

١٢ – المصدر السابق، ص١٢٢، وطبع في بولاق ١٢٨٣ هـ، وقال بروكلمان في **تاريخ الأدب العربي**، ج١، ص ٢٥٢: إنه منحول.

١٣ – سزكين، **تاريخ التراث العربي**، مجلد ١، ج٢، ص ١٢٢.

١٤ – **المصدر السابق**، ص١٢٢.

١٥ – ١٦ – طبعا في حيدر أباد ١٣٤٧هـ في مجلد واحد بتصحيح زين العابدين الموسوي، وعنها في صنعاء ١٩٧٩ط٢، وقدم لها د. عبدالعزيز المقالح، ويبدأ كتاب **التيجان** في هذه الطبعة من ص ٩ – ٣٢٢، وتليه أخبار عبيد بن شريه. وانظر بروكلمان ج١، ص ٢٥٠ – ٢٥٢، وسزكين ١/٢/٣٢ ثم ١٢٣.

١٧ – ذكره السخاوي في **الإعلان بالتوبيخ** ص ٤٨، وقال إنه "من الأخبار التي تجري مجرى الخرافات"، ووصف ياقوت الحموي في معجم الأدباء ج ٧، ص ٢٣٢، ابن منبه بأنه "صاحب القصص". وانظر بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج١، ص٢٥٢. وسزكين، **تاريخ التراث** ١/٢/١٢٢.

١٨ – بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج١، ص ٢٥٢، وذكر أنه من مخطوطات مكتبة الإسكندرية بمصر، كما ذكر له كتاباً آخر باسم: **الإسرائيليات**، وقال إن ابن قتيبة نقل منه كثيراً في عيون الأخبار. ولم أقف فيه أو في غيره من كتب ابن قتيبة على ذكر لهذا الكتاب، وإن كان ابن قتيبة يروي عن وهب بن

منبه الكثير من إسرائيلياته، ويبدو أنه اعتمد في ذلك على كتابيه: **المبتدأ، وقصص الأنبياء**، كما يتجلى ذلك واضحاً في المعارف خاصة، ص ١٤ و١٧ و١٩ وغيرها، وانظر أيضاً: عيون الأخبار ج١، ص ٤٣ و ١٣٥ ثم ج٢، ص ٦٢ و٧٦ ثم ج٣، ص ٢٧٥ ثم ج ٤، ص ١١٣.

١٩ – ويرى بلاشير في **تاريخ الأدب العربي**، ج ٣، ص ٤٠٦: " أننا لا نجد في النصوص التي لدينا – بصرف النظر عن القرآن – أي حكاية تستطيع الادعاء جدياً بالصعود إلى الجاهلية ". وقد يصدق هذا القول وأشباهه إذا فقدنا الثقة تماماً بصحة نسبة هذه الكتب إلى أصحابها. وانظر رأياً مخالفاً لدى عبد الحليم محمود في القصة العربية في العصر الجاهلي ص ١١٣. ثم انظر في الكتب المؤلفة في الجاهلية وصدر الإسلام: سزكين، **تاريخ التراث العربي** ١/٢/٧٢ وما بعدها.

٢٠ – ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٠٦ وياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج١٧، ص٣٧. ولقيط بن بكر المحاربي الكوفي: راوية نسابة، أخذ عن ابن الأعرابي وغيره، (–١٩٠ هـ) وانظر: سزكين، **تاريخ التراث العربي** ١/٢/٤٧.

٢١ – ابن النديم، **الفهرست**، ص ١١٣، وأبو البختري وهب بن وهب بن كثير، فقيه أخباري من أهل المدينة، توفي ببغداد (–٢٠٠هـ) وانظر سزكين ١/ ٢/٤٤١.

٢٢ – وانظر في ذلك شيخ موسى، **فصول في النقد العربي وقضاياه**، الفصل الثاني ص ٨٦ – ٨٧ خاصة.

٢٣ – ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٠٨ – ١١٠. وكتاب **الأصنام** مطبوع بالدار القومية في القاهرة ١٩٦٥، بتحقيق أحمد زكي.

٢٤ – ابن النديم، **الفهرست**، ص ١١٢.

٢٥ – المصدر السابق، ص٥٩.

٢٦ – ابن منبه، **التيجان**، ص ٧٤ – ٧٨.

٢٧ – طبع ضمن **نوادر الرسائل**، بتحقيق إبراهيم صالح، بيروت ١٩٨٦، من

ص١٤١ - ١٩٩ والخرائطي: هو أبو بكر محمد بن سهل السامري، راوية ومحدّث، قدم دمشق سنة ٣٢٥ هـ، وتوفي سنة ٣٢٧هـ وانظر ياقوت، **معجم الأدباء**، ج٥، ص ٣٧، و**تاريخ بروكلمان** ج ٣، ص ٣٨٩.

٢٨ - الجاحظ، **التربيع والتدوير**، ص ٢٦ - ٤٤.

٢٩ - انظر في ذلك شيخ موسى محمد خير: **مقدمة في النقد التوثيقي عند العرب**، مجلة المعرفة بدمشق، ع ٢٥٦، س ١٩٨٣، ص ٧ - ٤٧. والفصل الثاني من كتابه: **فصول في النقد**.

٣٠ - الحاتمي، **حلية المحاضرة**، ج ١، ص ٣٦٦ - ٣٦٧. وروى من أبيات الأعشى ستة عشر بيتاً. والقصة مع أبيات من شعر الأعشى في **الأغاني** للأصفهاني ج ٦، ص ٢٣٢ و ج ٩، ص ١١٨. وانظر القصيدة في **مختار الشعر الجاهلي** للأعلم الشنتمري ج٢، ص ١٩٦. وحار: مرخم حارث، والخسف: الذل، والختّار: الغدّار.

٣١ - ابن وهب، إسحق، **البرهان في وجود البيان**، ص ١١٨ (ط حفني شرف) و١١٨ (مطلوب والحديثي) والآية في **سورة القصص** ٥١/٢٨. ويرى بروكلمان في **تاريخ الأدب العربي** ١٤٩/١ " أنها أول قصة شعرية عند العرب " وقال في ١٦٢/١: " أما محاولة الأعشى إنشاء القصة واختراع أسلوب الملحمة في إشادته بوفاء السموءل فقد بقيت عملاً فذاً لم ينسج أحد على منواله ".

٣٢ - وانظر في ذلك د. خلف الله، **الفن القصصي في القرآن الكريم**، ص ١٦.

٣٣ - سورة هود ١٢٠/١١.

٣٤ - **سورة يوسف** ١١١/١٢.

٣٥ - **سورة الأعراف** ١٧٦/٧.

٣٦ - السيوطي، **أسباب النزول**، على هامش: **تفسير الجلالين** ص ٣٠٩. والآية من **سورة يوسف** ٣/١٢.

٣٧ - **السيوطي، أسباب النزول**، ص ٣٩٦، وسورة **الكهف** في القرآن الكريم رقم ١٨ وانظر ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٢، ص ٣٠٠.

٣٨ - **سورة الكهف** ١٨/١٣.

٣٩ - **سورة آل عمران** ٣/٦٢.

٤٠ - وانظر: **الفن القصصي في القرآن** لخلف الله، ص ١٣١. وفي **قصص الأنبياء** للثعلبي دلالة قوية على توسعهم في هذه القصص، كقوله ص٣٧٤ في قصة أهل الكهف "واختلفوا في لون كلب أصحاب الكهف، فقال ابن عباس: كان أسمر، وقال مقاتل: بل أصفر، وقال محمد بن كعب: كان من شدة سمرته وصفرته يضرب إلى الحمرة، وقال الكلبي: لونه كالثلج، واختلفوا في اسمه أيضاً، فروي عن علي أنه: زيان، وقال ابن عباس: كان اسمه قطمير".

٤١ - وانظر على التوالي سورة **البقرة** ٢/٢٥٨ و ٢٥٩ و**المائدة** ٥/٢٧ - ٣١.

٤٢ - وانظر على التوالي السور رقم ١٢ و٧١ و١٨.

٤٣ - انظر على التوالي سورة **البقرة** ٢/٥١ - ٧١ و**المائدة** ٥/٢٢ - ٢٩ و**الأعراف** ١٠٢ و ١٦٧ و**الكهف** ١٨/٦١ - ٨٣ وطه ٢٠ /٩ - ٩٨ و**القصص** ٢٨ / ٧ - ٤٤.

٤٤ - **البيان والتبيين** ١/٣٦٧.

٤٥ - الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص١٩٤ - ١٩٥.

٤٦ - الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص ١٩٤ - ١٩٥.

٤٧ - **سورة الأعراف** ٧ / ١٧٦.

٤٨ - ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٢٢. وروى ص ١٥-١٦ " أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يحضر قصص بعض الأنصار ومواعظه".

٤٩ – ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٣٠. وانظر ابن قتيبة، **كتاب الأوائل**، ص ٥٣، والعسكري، **كتاب الأوائل**، ج ٢، ص ١٢٧، والحنبلي، **كتاب الأوائل**، المخطوط ق ١٧ / ب.

٥٠ – ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٢٨.

٥١ – ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٢٢، والجاحظ، **البيان والتبيين** ج٢، ص ٣٦٧.

٥٢ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص ٣٦٧، وانظر ابن قتيبة، **الأوائل**، ص٥٣، والعسكري، **الأوائل**، ج٢، ص ١٢٨، وابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٥١.

٥٣ – الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص ٤٨٩ – ٤٩٤.

٥٤ – الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص ٤٤٢ و ٤٤٧.

٥٥ – ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٢٨.

٥٦ – المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص ٢٥٣.

٥٧ – المقريزي، **الولاة والقضاة**، ص ٣١٠.

٥٨ – ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٣١.

٥٩ – ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٣٦.

٦٠ – السمعاني، **الأنساب**، ج ١٠، ص ٢١.

٦١ – ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ٣٥.

٦٢ – الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٥، ص ٨٩.

٦٣ – الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٥، ص ١٤٧.

٦٤ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج ١، ص ٣٦٨، وسفيان بن حبيب البصري: محدث ثقة (–١٨٣هـ) ومرحوم بن عبد العزيز العطار الأموي البصري من الزهاد (–١٨٧هـ)، المصدر السابق. وانظر في أخبار الأسواري: ابن النديم، **الفهرست**، ص ٢٠٥.

٦٥ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج ١، ص ٢٩٠ - ٢٩١، وأبان بن عياش البصري محدث (- ١٣٨ هـ). وأبو بكر داود بن أبي هند القشيري البصري راوية ومحدث ثقة (-١٤٠ هـ). وانظر المصدر نفسه.

٦٦ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج ١، ص ٢٨٧.

٦٧ - **المصدر السابق**، ص ٣٠٨.

٦٨ - **المصدر السابق**، ص ٢٠٤.

٦٩ - ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ص ٩٠ - ٩٢.

٧٠ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص١١٩، و**الحيوان**، ج٦، ص ٥٠٨.

٧١ - الجاحظ، **الحيوان**، ج ٦، ص ٥٠٨. وانظر **ديوان عدي بن زيد**، تحقيق عبد الجبار المعيبد، ص٣٢٤. وذكر المحقق أن هذا البيت ينسب إلى محمد بن حازم الباهلي وإلى ابن الرومي أيضاً.

٧٢ - ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ١٠٢. وشعبة بن الحجاج (٨٢ - ١٦٠هـ) من كبار المحدثين والعلماء بالشعر. وانظر البغدادي، الخطيب، **تاريخ بغداد**، ج ٩، ص ٥٥، وابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج ٢، ص ٤٧٠.

٧٣ - ٧٨ - ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص ١٢٣ - ١٢٤ و٩ - ٩٤ و٩٣ و٩٥ و١١٧.

٧٤ - ٧٨ - ابن الجوزي، **القصاص والمذكرون**، ص١٢٣ - ١٢٤، ٩٣ - ٩٤ و٩٣ و٩٥ و ١١٧.

٧٩ - ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، ص١٢٣.

٨٠ - الجاحظ، **رسائله**، ج٢، ص١٢٨، وللخبر رواية أوسع في **الأغاني** ج٢٢، ص٢٥.

٨١ - المسعودي، **مروج الذهب**، ج٥، ص١٥٥.

٨٢ - ابن الجوزي، **القصاص**، ص ٢٧.

٨٣ - **المصدر السابق**، ص ٩.

٨٤ - **المصدر السابق**، ص٩-١٠.

٨٥ - **المصدر السابق**، ص ١٩ - ٢٠

٨٦ - الأبشيهي، **المستطرف من كل فن مستظرف**، ج١، ص ١٢٢. وسفيان الثوري أحد المحدثين الأعلام في الحفظ والرواية (٩٧-١٦١هـ) وانظر الخطيب البغدادي - **تاريخ بغداد**، ج٩، ص١٥٢.

٨٧ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٩٣.

٨٨ - الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج ١٢، ص ٢١٦، ولعل الخبر من بعض كتب الجاحظ المفقودة كحيل المكدين أو غيره.

٨٩ - الجاحظ، **البخلاء**، ٤٧ - ٤٩ والكدية: السؤال والاحتيال لتحصيل المال. وانظر حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج ١، ص ٤٥٥.

٩٠ - الجاحظ، **البيان**، ج ٢، ص ١٧٥

٩١ - الجاحظ، **البيان**، ج ٢، ص ٣١٧ والخبر نفسه في **الحيوان**، ج ٣، ص٣٢٤.

٩٢ - الجاحظ، **الحيوان**، ج ٣، ص ٢٤ - ٢٥ وانظر ج ٢، ص ٢٣٩ و ص ٤٨، و ص ٤٦٤.

٩٣ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج ١، ص ٧٩.

٩٤ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج ١، ص ٧٧.

٩٥ - المبرد، **الكامل**، ج٢، ص ٢٠٩.

٩٦ - المبرد، **الكامل**، ج ٢، ص ٢١٠.

٩٧ - التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج ٣، ص ١٦٤.

٩٨ - انظر مثلاً ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج ٣، ص ١٢٩، والزجاجي، **أماليه**، ص٢١٥، والأصفهاني، **الأغاني** ج ٣، ص ٦٠، والتوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج ٣، ص ٥٣٩ و ٦٤٠ و ج ٤، ص ٩٤ و ٢٥٦ و ٢٥٧، والأبشيهي، **المستطرف** ج ١، ص ١٢٢.

٩٩ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦. وأبو بكر أحمد بن الحسين الأنصاري المعروف بالنقاش من كبار القراء والفقهاء ببغداد، وله كتب كثيرة منها كتاب **إرم ذات العماد** (-٣٥١هـ).

١٠٠ - طبع في بيروت ١٩٧١ بتحقيق مارلين سوارتز، وله طبعة أخرى في الرياض بتحقيق قاسم السامرائي ١٤٠٣هـ، والإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي من كبار علماء الإسلام، ولد ومات ببغداد (٥١٠ - ٥٩٨هـ) وألف أكثر من خمسين كتاباً في السير والتواريخ والحديث والأدب. وانظر ابن خلكان، **الوفيات**، ج ٣، ص ١٤٠.

١٠١ - وديعة نجم، **القصص والقصاص**، ص ٤٨ وانظر عرسان، علي عقلة، **الظواهر المسرحية عند العرب**، ص ١٠٥.

١٠٢ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٣٢. وله طبعات كثيرة، لعل أقدمها طبعة المستشرق دي ساسي في باريس ١٨١٦م، وأعيد طبعها بمصر عدة مرات متوالية بدءاً من سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢م، وفي مصر ولبنان والهند وغيرها بتحقيق المرصفي وشيخو واليازجي وطيارة والمنفلوطي و غيرهم، ولعل أوثق طبعاته التي تعتمد على ترجمة ابن المقفع هي التي أشرف على تحقيقها د.عبدالوهاب عزام - القاهرة، ١٩٤١، وأعيد طبعها في الجزائر ١٩٨١، ومهد لها د. عزام بمقدمة طويلة تناول فيها تاريخ الكتاب وموضوعاته وطبعاته، وعقد فيها مقارنة بين ما نقله ابن قتيبة (-٢٧٦هـ) في **عيون الأخبار** من نصوص كليلة ودمنة، وما يقابلها من ترجمة ابن المقفع في هذه الطبعة، قصد توثيق الأصول التي اعتمد عليها في تحقيقه، وتأكد صحة نسبتها إلى ابن المقفع، بيد أننا لاحظنا أن هنالك اختلافاً غير يسير بين ما ورد لدى ابن قتيبة من نصوص كليلة ودمنة، وبين النصوص الواردة في طبعة عزام، ويمكن أن نعزو ذلك إلى اعتماد ابن قتيبة على ترجمة أخرى غير ترجمة ابن المقفع، أو إلى تصرفه في النقل، وقد وقفنا على نصوص أخرى نقلها الجاحظ من ترجمة ابن المقفع،

ويطابق معظمها ما يقابلها في طبعة عزام من نصوص، وهي أجدى في توثيق صحة الأصول التي اعتمد عليها د. عزام في تحقيقه، وتأكيد صحة نسبتها إلى ترجمة ابن المقفع، وتصحيح بعض الآراء في بعض أبواب الكتاب وقصصه، وانظر هذه النصوص في الحيوان وما يقابلها في كليلة ودمنة:

الحيوان ج ٧، ص ٩٢ = **كليلة** ص ٨٥ – ٨٧ ثم ٩٣ + ٨٨ ثم ٩٤ + ١١٢ و ١١٤ و ١٢٨ ثم ٩٥ + ١٦٢ و ١٧٧ ثم ج٢ ص ٣٣٠ = ١١٦. وانظر في طبعات الكتاب: **بروكلمان** ج٣ ص ٩٣ – ٩٥ ومقدمة عزام ١٠–١٢.

١٠٣ – الجاحظ، **الحيوان**، ج٦، ص٣٣٠. وانظر **كليلة ودمنة**، باب الأسد والثور، ص ١١٦.

١٠٤ – ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٤٦.

١٠٥ – حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج٢، ص ١٥٠٨. وانظر مقدمة عزام ص٢٣–٢٤.

١٠٦ – الصولي، **أخبار الشعراء المحدثين**، ص ٢، وانظر الخبر في **الأغاني** ج٢٣، ص١٥٥.

١٠٧ – الصولي، **أخبار الشعراء المحدثين**، ص ٤٦. واقتصر صاحب **الأغاني** ج٢٣، ص ١٥٥ على رواية هذين البيتين وفيه: أدب، بدلاً من: كذب، وكليلة، بدلاً من: كليل، واحتيالات، بدلاً من: دلالات.

١٠٨ – الصولي، **أخبار الشعراء المحدثين**، ص٥.

١٠٩ – ابن المعتز، **طبقات الشعراء المحدثين**، ص٢٠٢.

١١٠ – حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج٢، ص ١٥٠٨. وأبو سهل الفضل بن نوبخت كاتب فارسي الأصل، عمل مترجماً من الفارسية إلى العربية في خزانة الحكمة لهارون الرشيد. وانظر ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٣، و**بروكلمان** ج٤، ص ٢٠٠.

١١١ – ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٤.

١١٢ – **المصدر السابق**، ص٣٦٤، وعلي بن داود كاتب أم جعفر زبيدة كان يسلك في تصانيفه طريقة سهل بن هارون. ابن النديم، **الفهرست** ص ١٣٤.

١١٣ – انظر في ذلك **بروكلمان** ج٣، ص ٩٦، وحامد عبد القادر، **القصص الحيواني**، ص٣٩.

١١٤ – ابن النديم، **الفهرست**، ص٣٦٤.

١١٥ – **المصدر السابق**، ص ٣٦٣.

١١٦ – **المصدر السابق**، ص ١٣٣ – ١٣٤، وياقوت، **معجم الأدباء**، ج١١، ص ٢٦٧، والجاحظ، **البيان**، ج١، ص٥٢، و**بروكلمان**، ج٣، ص٣٤–٣٥، والزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ١٣٤.

١١٧ – ذكرها صاحب **الفهرست** ص ١٣٤، وياقوت، **معجم الأدباء**، ج١١، ص٢٦٧.

١١٨ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص ٥٢.

١١٩ – ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٣٤، وانظر أيضاً ياقوت، **معجم الأدباء** ج ١١، ص ٢٦٧، وحاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج٢، ص ١٠٥٠٨.

١٢٠ – الحصري، **زهر الآداب**، ج٢، ص ٢٥٨.

١٢١ – طبعت في تونس بتحقيق عبد القادر المهري ١٩٧٣.

١٢٢ – ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج١٤، ص ٥٤، ووردت في **الفهرست** ص ١٣٣ باسم: صفة النمل والبعوض، ومن المرجح لدينا أن ما ورد في معجم ياقوت هو الصحيح، وأنه من القصص المؤلفة على ألسن الحيوان وأضرابها لشدة اختصاص الريحاني بتأليفها كما سيمر بنا بعد قليل.

١٢٣ – ابن النديم، **الفهرست**، ص ٢١٢.

١٢٤ – **المصدر السابق**، ص ١٣٣–١٣٤.

١٢٥ – الجاحظ، **البخلاء**، ص ٩–١٦. وانظر رأي المحقق في هذه الرسالة

٢١٦٨-٢٧١، إذ رجح أنها من صنع الجاحظ، شأنها في ذلك شأن كثير من أحاديث البخلاء.

١٢٦ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٥.

١٢٧ - **المصدر السابق**، ص ١٣٢، وانظر ٢٦٤.

١٢٨ - **المصدر السابق**، ويرى بروكلمان ج٣، ص ٩٧، أن ابن النديم ربما أخطأ في قوله: إنه في سيرة أنوشروان، ولعله في سيرة كسرى أبرويز. والصحيح أن الكتاب الذي يشتمل على سيرة أنوشروان هو: كتاب الكارنامج، الذي ذكره ابن النديم ص ٣٦٤ وقال إنه في سيرة أنوشروان، وذكر بعده: كتاب التاج وما تفاءلت به ملوكهم.

١٢٩ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٣٢.

١٣٠ - بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي** ج ٣، ص ٩٧.

١٣١ - ١٣٢ - ابن النديم، الفهرست، ص ٣٦٤ وانظر أيضاً ص ٣٠٥.

١٣٣ - ١٣٥ - المصدر السابق ١٣٣. وانظر **معجم الأدباء**، ج ١٤، ص ٥١.

١٣٦ - ١٣٧ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٣.

١٣٨ - وفي ذلك ما يمكن أن يصحح آراء بعض المعاصرين الذين اختلفوا في تاريخ هذا الكتاب ومصادره، إذ ذهب بعضهم إلى القول إن صورته عرفت في مصر في القرن الثاني عشر الميلادي ثم أخذت تنمو بعد ذلك، وحدد آخرون زمن كتابته في مصر بالقرن الخامس عشر أو السادس عشر، وانظر عبد الحميد يونس، **معجم الفولكلور**، ص ٤٤ - ٤٦.

١٣٩ - ١٤٠ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٤. ورجح بروكلمان ج٣، ص ١٠٢، أن يكون موسى بن عيسى الكسروي [من معاصري ابن المقفع] هو الذي ترجمه إلى العربية.

١٤١ - ١٤٤ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٨٦. وانظر أيضاً ص ١٣٢.

١٤٥ - **المصدر السابق**، ص ٣٦٤.

١٤٦ - بروكلمان، ج٣، ص ٩٧. وذكر في ص ١٠٣ حاشية ٦ أنه طبع على الحجر في بومباي ١٣٠٦هـ، وأن منه قطعة كبيرة في مكتبة أحمد تيمور - خط.

١٤٧ - **المصدر السابق**، ج٣، ص١٠٣-١٠٤. وابن بابويه علي بن الحسين القمي من كبار علماء الشيعة الإمامية، صحب ركن الدولة البويهي، وتوفي بالري (-٣٨١هـ) وانظر ابن النديم، **الفهرست**، ص ٢٤٦، **وبروكلمان**، ج٣، ص٣٤٣.

١٤٨ - لم أقف عليه في مسارد كتب الأصمعي. وقد ذكره بروكلمان ج٢، ص١٥٠، وقال إن منه نسخة خطية في المتحف البريطاني، وأخرى في باريس بعنوان: تاريخ ملوك العرب الأولين من بني هود وغيرهم.

١٤٩ - ١٥٢ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

١٥٣ - **المصدر السابق**، ص ١٠٥. وأبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي من كبار المؤلفين في الفتوح والسير والمغازي، ذكر له ابن النديم فيها كتباً كثيرة، (-١٥٧هـ). وانظر بروكلمان ج ٣، ص ٣٦، وسزكين ١/٢/١٢٩.

١٥٤ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٦٠.

١٥٥ - **المصدر السابق**، ص ٣٦٧.

١٥٦ - **المصدر السابق**، ص ٣٦٥. وعيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الكناني خطيب شاعر عالم بأخبار العرب وأنسابها. وانظر ابن النديم، الفهرست ص ١٠٣، والجاحظ، البيان، ج ١، ص ٥١. وأبو المثنى الوليد بن الحصين الكلبي المعروف بالشرقي القطامي راوية أخباري كان يرمى بالكذب، ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٠٢.

١٥٧ - ١٦٠ - **المصدر السابق**، ص ٣٦٦-٣٦٧.

١٦١ - **المصدر السابق**، ص ٣٦٧. وقد ذكر ابن النديم أسماء عدد من المؤلفين الذين ألفوا كتاباً عنوانه: عجائب البحر، ومنهم: هشام الكلبي (-٢٠٦هـ)

وأبو العنبس الصيمري (-٢٥٧ هـ) وابن الشاه الظاهري علي بن محمد من ولد الشاه ميكال، وكان أديباً طيباً مفاكهاً. وانظر الفهرست ص ١١٠ و ١٦٩ و ١٧٠.

١٦٢ - ١٦٣ - **المصدر السابق**، ص ٣٧٥.

١٦٤ - **المصدر السابق**، ص ١٠٦ و**معجم الأدباء** ج ١٧، ص ٣٧.

١٦٥ - **المصدر السابق**، ص ١١٠ وذكر: كتاب حبيب العطار، مع أسماء العشاق الذين تدخل أحاديثهم في السمر، ص ٣٦٦.

١٦٦ - ١٦٨ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ١١٢ و ١٣٥ و ٣٦٧.

١٦٩ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٣٤. وفي **معجم الأدباء**، ج١١، ص ٢٦٧ كتاب ندود ولدود.

١٧٠ - ١٧١ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ١٣٥ و ١٣٣ وفي **معجم الأدباء** ج ١٤، ص ٥٤ كتاب ورود وودود الملكتين.

١٧٢ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ١١٦. و**بروكلمان** ج ٣، ص ٣٩.

١٧٣ - ١٧٤ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٧٩ و ١٦٩. وأبو حسان النملي محمد بن حسان، أحد الأدباء الطياب في أيام المتوكل، وله معه أحاديث، وانظر ياقوت، **معجم الأدباء**، ج ١٨، ص ١١١.

١٧٥ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج ٣، ص ٢٩. وليس بين أيدينا من أصول تلك الرسائل والسير التي أشار إليها الجاحظ ما يؤكد صحة هذا القول. ويبدو أن الجاحظ نفسه لم يتمكن من الوقوف على تلك الأصول أيضاً، وإن كنا نعلم أن أصول كليلة ودمنة كانت موجودة في عصره، وقد قام بترجمتها إلى العربية غير ما كاتب كما مر بنا في أثناء الحديث عنه قبل قليل.

١٧٦ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٥.

١٧٧ - الأصفهاني، **الأغاني**، ج٦، ص٢٢٤.

١٧٨ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٥.

١٧٩ - الأصفهاني، **الأغاني**، ج٢، ص ١١.

١٨٠ - **المصدر السابق**، ج٢، ص ٨، وذكر بروكلمان ج١، ص ٢٠٠ أنها طبعت في بيروت ١٨٦٨.

١٨١ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٦. وانظر **بروكلمان**، ج٣، ص ١٣٣.

١٨٢ - الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٥، ص٢٦٦.

١٨٣ - المبرد، **الكامل**، ج٢، ص٢٠٤.

١٨٤ - ابن النديم، **الفهرست**، ص ٣٦٧.

١٨٥ - الجاحظ، **الحيوان**، ج٣، ص ٣٤٣ - ٣٤٦.

١٨٦ - **المصدر السابق**، ج ٣، ص٢٤ - ٢٥.

١٨٧ - المصدر السابق، ج٢، ص٢٣١ - ٢٣٢ (قصة ابن مرثد الأعرابي والكلب الذي ظنه لصاً) و٢ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ (الأعرابي وقسمة الدجاجة) وانظر باب من مات من العشق في **الموشى** للوشاء، ص٩٨- ١٠١ وفيه قصتان للجاحظ.

١٨٨ - ابن النديم، **الفهرست**، ص٢١٠ - ٢١١.

١٨٩ - الجاحظ، **الحيوان**، ج٢، ص١٥٦.

١٩٠ - الجاحظ، **البخلاء**، ص١.

١٩١ - الجاحظ، **المحاسن والمساوئ**، رسائله، ج٣، ص٦٢٢ - ٦٢٤.

١٩٢ - ومنها نسخة خطية في الموصل ذكرها بروكلمان ج٣، ص١٩.

١٩٣ - ١٩٤ - الجاحظ، **الحيوان**، ج٢، ص٣٦٦ - ٣٦٧.

١٩٥ - الجاحظ، **البخلاء**، ص٤٦-٥١.

١٩٦ - **المصدر السابق**، ص ٧-٨.

١٩٧ - **المصدر السابق**، ص١٣٢. وانظر شيخ موسى، محمد خير، **فن القصة**، ص١٦.

١٩٨ - **المصدر السابق**، ص٤٠.

١٩٩ - فصل من كتاب **المغنين**، مجلة المورد، المجلد ٧، العدد ٤، سنة ١٩٧٨. ص ١٥٤.

٢٠٠ - **البيان والتبيين** ١/ ١٤٥-١٤٦.

٢٠١ - ابن قتيبة، **تاويل مختلف الحديث**، ص٦٠ (النجار) و ٤٤ (ط الخطيب).

٢٠٢ - البغدادي عبد القاهر، **الفرق بين الفرق**، ص١٧٧.

٢٠٣ - الأسفراييني، **التبصير في الدين**، ص٥١.

٢٠٤ - الجاحظ، **البخلاء**، ص ١-٥.

٢٠٥ - المسعودي، **مروج الذهب**، ج٤، ص ١٦٥. وانظر مقدمة الحاجري للبخلاء ص٢٠، ٢٨-٣٣. وانظر في كتب المدائني في **الأسمار والأحاديث والقصص**، ابن النديم، **الفهرست**، ص١١٦٥، وبروكلمان ج٣، ص ٣٩.

٢٠٦ - الصولي، **أخبار الراضي**، ص ٥-٦.

٢٠٧ - ابن النديم، **الفهرست**، ص١٦٩. وأبو الحسن الصيمري محمد بن إسحق الكوفي قاضي الصيمرة من نواحي البصرة، وكان أديباً شاعراً ومنجماً من أهل الفكاهات والنوادر، نادم المتوكل المعتمد وكان مختصاً بهما (- بعد ٢٧٩هـ) **بروكلمان**، ج٤، ص ١١٠.

٢٠٨ - ابن النديم، **الفهرست**، ص٢٨٦. وابن أبي خيثمة أحمد بن زهير البغدادي راوية أخباري ومحدّث (١٨٥. ٢٧٩هـ)، وانظر **الخطيب البغدادي** ج٤، ص١٦٢ وياقوت معجم الأدباء، ج٣، ص٣٥، **وبروكلمان** ج٣، ص ٢٠٢.

٢٠٩ - ابن النديم، **الفهرست**، ص١٢٦. وأبو إسحق طلحة بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل التميمي راوية أخباري من أهل البصرة، نادم الموفق وتوفي (٢٩١هـ) وللمدائني **كتاب المتيمين**، مرّ ذكره.

٢١٠ - ابن النديم، **الفهرست**، ص١٦٣.

٢١١ - ذكر **بروكلمان**، ج٣، ص١٣٨، أن منه عدة نسخ خطية في القاهرة وغيرها.

٢١٢ – ابن النديم، **الفهرست**، ص١٧٢. وذكر أنه كان حسن التأليف، مليح التصنيف، يسلك طريقة الجاحظ.

٢١٣ – **المصدر السابق**، ص ١٤٧.

٢١٤ – **المصدر السابق**، ص ٣٦٣-٣٦٤.

٢١٥ – **المصدر السابق**، ص ١٩٥، وأبو بكر محمد بن هشام الخالدي أديب شاعر من ندماء سيف الدولة (– نحو ٣٨٠هـ) وكذلك كان أخوه أبو عثمان سعيد (. نحو ٤٠٠هـ) أيضاً، وهما اللذان يعرفان معاً بالخالديين. وانظر الثعالبي، **اليتيمة**، ج٢. ص ١٨٣ – ٢٠٨.

٢١٦ – ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج١٢، ص٢٨٤ – ٢٨٥، و**بروكلمان** ج٣، ص٢٥٠ وأبوالعلاء صاعد بن الحسن الربعي الموصلي البغدادي، أديب نحوي من أهل العراق وهاجر إلى الأندلس، ونادم المنصور بن أبي عامر ثم انتقل إلى صقلية، وبها توفي (٤١٧هـ).

٢١٧ – ابن النديم، **الفهرست**، ص١٦٣. وياقوت، **معجم الأدباء**، ج٣، ص٩١. و**هدية العارفين**، ج٥، ص ٥٢ وفيه "الملك والحكيم الرومي" بدلاً من "الملك الحليم الرومي" و"خبر الملك العادل" بدلاً من "الملك العاني".

٢١٨ – ابن النديم، **الفهرست**، ص٢٣٦ – ٢٣٧ وذكر له كتباً كثيرة تدل على أنها تتضمن قصصاً أخلاقية وحكايات، وانظر **بروكلمان** ج٣، ص ١٢٩ – ١٣٠ وذكر أن لهذه الكتب أصولاً خطية في عدد من المكتبات، وابن أبي الدنيا هو أبو بكر عبدالله بن محمد القرشي، راوية أخباري يعد من الزهاد، عمل مؤدباً للمكتفي بالله وغيره من أولاد الخلفاء (٢٠٨ – ٢٨١هـ).

٢١٩ – **بروكلمان**، ج٣، ص١٣٥ وذكر أن لهما عدة نسخ خطية في تركيا ودمشق والقاهرة، وأبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي محدث اشتغل بجمع القصص والحكايات والنوادر (–٣١٠هـ).

٢٢٠ – ذكره التنوخي في مقدمة **الفرج بعد الشدة**، ج١، ص ٥٢، و**سزكين** ١/٢/١٣٩.

وأبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف من الرواة الأخباريين والمحدثين (-٣٢٨هـ). وانظر ابن النديم، الفهرست، ص١٢٧.

٢٢١ - طبع بالقاهرة بتحقيق أمين عبد العزيز سنة ١٩١٤، ثم بتحقيق محمود شاكر ١٩٤٠، ثم بتحقيق علي الجارم وأحمد أمين ١٩٤١. وابن الداية أبو جعفر بن يوسف المصري من كتاب آل طولون، وألف في سيرهم عدة كتب (-٣٤٠هـ). وانظر ياقوت، **معجم الأدباء**، ج٥، ص١٥٩. وبروكلمان ج٣، ص٧٩.

٢٢٢ - ابن الداية، **المكافأة والعقبى**، ص٨٩ - ٩٠.

٢٢٣ - أبو علي المحسّن بن أبي القاسم على بن محمد التنوخي أديب شاعر أخباري تقلد القضاء في عدة مناطق، أخذ عن أبي الفرج الأصفهاني وغيره، وتوفي ببغداد (٣٨٤هـ). وانظر الثعالبي، **اليتيمة**، ج٢، ص٣٤٥-٣٤٦، وابن خلكان، الوفيات، ج٤، ص١٥٩ - ١٦٢.

٢٢٤ - وقد أسهب د. زكي مبارك في **النثر الفني**، ص٣٨٨ - ٣٨٩ ثم ٣٩٥ - ٣٩٧ في مناقشة بعض الآراء حول زمن تأليف هذا الكتاب، وانتهى إلى أنه لم يشرع في تأليف مواده إلا بعد سنة ٣٦٠هـ، وفي مقدمة **النشوار** ج١، ص ١٠ ما يدل دلالة قاطعة على أنه بدأ في تأليفه سنة ٣٦٠ هـ، وقال في ذلك فاتفق أني حضرت المجالس بمدينة السلام سنة ٣٦٠هـ... فوجدت أن ما بقي في حفظي من هذه الحكايات قد قلّ.. فأثبت ما بقي على ما كنت أحفظه".

٢٢٥ - التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج١، ص١١-١٢.

٢٢٦ - الأصفهاني، **الأغاني**، ج١، ص٤.

٢٢٧ - التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج١، ص٧-١٠.

٢٢٨ - **المصدر السابق**، ج١، ص١٢ ثم ج٢، ص٧، ثم ج١، ص١.

٢٢٩ - **المصدر السابق**، ج١، ص١٢ ثم ج٢، ص٧، ثم ج١، ص١.

٢٣٠ - **المصدر السابق**، ج١، ص١٢ ثم ج٢، ص٧، ثم ج١، ص١.

٢٣١ - **المصدر السابق**، ج ١، ص٣٣٨ القصة رقم ١٧٩، ج٢، ص٣٦ القصة رقم ١٣ و ١٠٦ رقم ٥١، و ١٠٨ رقم ٥٢.

٢٣٢ - **ياقوت الحموي**، ج١٣، ص١٢٣ - ١٢٤.

٢٣٣ - **الثعالبي**، ج٢، ص٣٤٥.

٢٣٤ - ومجموع القصص التي اعتمد فيها على النقل ١٥٩ قصة فيما أحصينا.

٢٣٥ - التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، ج١، ص٥٢-٥٤ وذكر صاحب **الفهرست**، ص١٤٨ للمرزباني (-٣٨٤هـ) **كتاب الفرج**.

٢٣٦ - **المصدر السابق**، ج١، ص٥٤.

٢٣٧ - ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج١٣، ص١٢٩، وابن خلكان، **الوفيات**، ج٤، ص١٥٩، وانظر **الفرج بعد الشدة** ج ١، ص٣٢٨ و ٣٥٣ و ج٤، ص٣٧٢ و٣٨٣، **والنشوار** ج١، ص ١٨ و ٧٤، و ج٢، ص ١٣٢ و ١٣٣ ومواضع كثيرة.

٢٣٨ - انظر مثلاً القصة رقم ١٧٣ ج٢، ص١١٦ - ١١٩، وقد اعتمد فيها على بعض أخبار أبي العتاهية في الأغاني ج٤، ص٩٢-٩٣ وقد سجنه الرشيد، فتناول التنوخي هذا الخبر وتصرف فيه، وحوّله إلى قصة فنية بما أضفى عليه من عناصر القص وأساليبه.

٢٣٩ - التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج١، ص١.

٢٤٠ - التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، ج١، ص٢٣.

٢٤١ - **المصدر السابق**، ج٢، ص١٥٣، الليلة ٢٧، وفيها عدة قصص وحكايات كقصة الشاعر اليوناني وقطاع الطرق، واليهودي والمجوسي، وحج التوحيدي.

٢٤٢ - القفطي، **تاريخ الحكماء**، ص٣٣١.

٢٤٣ - لم نعثر له في كتب الأقدمين على ترجمة. ولعله اسم ابتدعه التوحيدي ونسب إليه هذه الحكاية التي ألفها كما رجح ذلك بعض الدارسين اعتماداً على بعض الأدلة المقنعة. وانظر مقالة د. مصطفى جواد في **مجلة العرفان**، مج ٤٢، س ١٩٥٢، ص ٥٦١-٥٦٦. وقد اعتمد الشالجي على هذه الأدلة

فأعاد طبع الحكاية منسوبة إلى التوحيدي بعنوان: **الرسالة البغدادية**، دار الكتب ١٩٨٠، وهو العنوان الذي ورد في معجم الأدباء، ج ١٥، ص٨.

٢٤٤ - حكاية أبي القاسم البغدادي، ١-٢. وانظر قول الجاحظ في **البيان** ج١، ص٦٩.

٢٤٥ - انظر **دائرة المعارف الإسلامية**، ج٨، ص٩ وعرسان، **الظواهر المسرحية** ص١٧و ١٧٣.

٢٤٦ - عرسان، علي عقلة، **الظواهر المسرحية عند العرب**، ص٤٣٧.

٢٤٧ - الحصري، **زهر الآداب**، ج١، ص٣٠٥. وانظر ياقوت، **معجم الأدباء**، ج٢، ص ١٧٠، والكلاعي، **أحكام صنعة الكلام**، ص١٢٠.

٢٤٨ - زكي مبارك، **النثر الفني**، ج١، ص٢٤٣. وانظر أصل هذا الرأي في دائرة المعارف الإسلامية، ج٣، ص٤٧٢. وذهب د. طبانة في **السرقات الأدبية**، ص١٢١، إلى القول: "لما كتب أحمد بن فارس مقاماته اتبعه بديع الزمان". ولم نجد لابن فارس مشاركة في هذا الباب.

٢٤٩ - ورجح د. زكي مبارك في **النثر الفني** ج١، ص٢٨٢، أن تكون هذه الأحاديث مما رواه القالي عن ابن دريد في الأمالي. قد تتبعنا هذه المرويات في **الأمالي**، فوجدنا جملة القصص التي رواها القالي عنه لا تتجاوز عشر قصص، وهي من مرويات ابن دريد عن بعض الأخباريين كابن الكلبي والأصمعي وأبي عبيدة والمدائني وابن الأنباري، وهي تجري على سنن العرب في قصصهم وأحاديثهم، وليس فيها ما يدل على صلة بالمقامات. وانظر القالي، **الأمالي**، ج١، ص٣٧ (حديث الشاب العاشق) و٦١ (حديث البنين السبعة) و ١٣ (خطبة الأعرابي في المسجد) و ١٣٤ (حديث رواد مذحج) و ج٢، ص٦ (حديث المرأة التي سكنت القبور) و١٠٥ (حديث البنات الثلاث مع أبيهن وحديث همام بن مرة مع بناته). وفي النوادر، ص١٩٥ (حديث المنذر مع نديميه). ووقفت في الجليس والأنيس للمعافى بن زكريا على طائفة أخرى من قصص ابن دريد وأحاديثه، ج١، ص٣٧-٢٣٩ (حديث الحية). و٥٣٦ (حديث سليمان) و٥٤٥ (مقتل عمر بن ذي

كلب) و ٥٦٦ (الصمصامة) و ٥٨١ (وضاح اليمن وأم البنين) و ج٢، ص٧١ (قصة الزاغ نصفه إنسان). وقد رجح محقق الجليس ج١، ص١٤ أن تكون من الأحاديث الأربعين التي قال إنها أصل المقامات. كما وقفت في كتاب الفوائد والأخبار لابن دريد، نوادر الرسائل ص١٩-٤٠ على طائفة أخرى من حكايات ابن دريد ومروياته القصصية. وقد قامت إكرام فاعور بدراسة "مقامات البديع وعلاقتها بأحاديث ابن دريد "اعتماداً على بعض ما ورد في أمالي القالي من هذه الأحاديث، واهتداء بآراء د. زكي مبارك الذي يؤكد هذه العلاقة التي لم نجد لها أصلاً، ونالت به درجة الماجستير! وانظر ص ٨٢-٨٣ منه خاصة.

٢٥٠ - المقامة ٢٠. وانظر مرتاض، **فن المقامات**، ص٦٤و ٨٤. وقد ذهب إلى أن أحاديث الجاحظ وقصصه عن المكدين وأحاديث الزهاد والطفيليين يمكن أن تعد أصلاً للمقامات.

٢٥١ - وديعة نجم، **القصص والقصاص**، ص٧٣. وانظر أصول هذا الرأي لدى غرنباوم في دراسات في الأدب العربي، ص٥٣. ٥٦، وفيه أن "مواقف القصاص والوعاظ تعد لبنة بسيطة فيما بدأه ابن دريد وأكمل خلقه البديع، وقد يكون لبعض الأشكال الإغريقية أثرها في ذلك".

٢٥٢ - أبو الحسن عقيل بن محمد العكبري شاعر المكدين وظريفهم. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص١١٧ -١١٩.

٢٥٣ - أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي، شاعر كثير الملح والظرف، مشحوذ المدية في الكدية، وهو صاحب القصيدة الساسانية الشهيرة. وانظر الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص ٢٥٢.

٢٥٤ - الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص ٢٥٤.

٢٥٥ - الهمذاني، **رسائله**، ص٢٣٦-٢٣٧. ولعله قد بالغ في عددها، وما وصل إلينا منها لا يتجاوز ٥١ مقامة، وذكر ابن شرف القيرواني (-٤٦٠هـ) أن عددها عشرون وأنها لم تصل إليه كاملة. وانظر **رسائل الانتقاد** ص٢٠.

٢٥٦ – الهمذاني، **رسائله**، ص ٣١٥.

٢٥٧ – الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٤، ص ٢٥٧.

٢٥٨ – ابن شهيد، **التوابع والزوابع**، ص١٦٨. وابن شهيد هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان الأندلسي الأشجعي القرطبي من كبار الشعراء والكتاب بالأندلس (٣٨٢ – ٤٢٦هـ)، وانظر ياقوت، **معجم الأدباء**، ج١، ص ١١٦ والثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص ٣٥، وبروكلمان ج٥، ص١٢١.

٢٥٩ – القيرواني ابن شرف، **رسائل الانتقاد**، ص٢٠–٢١.

٢٦٠ – والحريري أبو محمد القاسم بن علي البصري من كتاب الدولة البويهية وأعيانها، وصاحب المقامات الشهيرة (–٥١٦هـ)، وانظر الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص١٧٧.

٢٦١ – وانظر في شروح مقاماته **إيضاح المكنون** ج٤، ص ٥٣٠–٥٣١.

٢٦٢ – غزنباوم، **دراسات في الأدب العربي**، ص٨٣، وانظر ٤٥.

٢٦٣ – غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، ص ٥٣١.

٢٦٤ – زكي مبارك، **النثر الفني**، ج١، ص٢٥٠.

٢٦٥ – انظر مثلاً في **مخطوطات الظاهرية** بدمشق: قصة الطير الناطق، في أحد عشر جزءاً برقم ١٠٤٤١، وقصة الإسكندر، في ستة أجزاء، برقم ١٠٢٥٢، والملكة شمس والدرويش عماد، برقم ١٠٢٥٥، والملك بدر الزمان، برقم ١٠٢٦١، وهند مع سلبند، برقم ١٠٢٦٣، والملك عصام ووزيره، برقم ١٠٢٥٩، والجارية والعلماء، برقم ١٠٢٦٠ وقصة سليمان، برقم ١٠٢٦٢ وانظر رقم ١٠٤٢٣ – ١٠٤٢٩ و ١٠٤٣٨، وغيرها كثير مما وقفنا عليه في هذه المكتبة من قصص ما تزال مخطوطة!!. وانظر مراد والسواس، **فهارس الأدب بالظاهرية** ج٢، ص ٢٧٥ – ٢٩١.

المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - الآمدي، أبو القاسم الحسين بن بشر (-٣٧٠هـ): **المؤتلف والمختلف**، تحقيق كرنكو، بيروت، ١٩٨٣ (مصورة).

٣ - ابن أبي أصيبعة (-٣٦٨هـ): **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق د. نزار رضا، ط١ بيروت: ١٩٦٥.

٤ - الأبشيهي، شهاب الدين: **المستطرف من كل فن مستظرف**، ط١ حجر، استامبول، ١٣١٤هـ .

٥ - الأزدي، أبو المطهر (؟): **حكاية أبي القاسم البغدادي**، تحقيق زاهد الكوثري، ط١ هايدلبرغ، ١٩٣٠.

٦ - الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين القرشي (- بعد ٣٦٢هـ): **كتاب الأغاني**، طبعة دار الكتب الكاملة، مصورة بدار جمال ببيروت، د.ت.

٧ - الأسفراييني (-٤٧١هـ): **التبصير في الدين**، تحقيق زاهد الكوثري، ط١ القاهرة، ١٩٦٠.

٨ - **ألف ليلة وليلة**: المكتبة الشعبية ببيروت، د.ت.

٩ - الباقلاني، أبو بكر (- ٤٠٣هـ) **إعجاز القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، القاهرة.

١٠ - بروكلمان، كارل (-١٩٥٦ م): **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم نجار، ط٤، القاهرة، ١٩٧١.

١١ - البغدادي، الخطيب أبو بكر أحمد (-٤٦٣هـ): **تاريخ بغداد**، ط١، مصر، ١٩٣١.

١٢ - البغدادي، عبدالقاهر (-٤٢٩): **الفرق بين الفرق**، تحقيق محيي الدين، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

١٣ - بلاشير، ريجيس: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ط١ دمشق، ١٩٧٣.

١٤ - التنوخي، المحسّن (-٣٨٤هـ):

- **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، ط١ بيروت، ١٩٧٨.
- **نشوار المحاضرة**، تحقيق عبود الشالجي، ط١ بيروت، ١٩٧١.

١٥ - التوحيدي، أبو حيان (نحو ٤٠٠هـ):

- **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، مصورة ببيروت، د. ت.
- **البصائر والذخائر**، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط١ دمشق، ١٩٦٤.
- **الرسالة البغدادية**، تحقيق عبود الشالجي، ط١ بيروت، ١٩٨٠.

١٦ - الثعالبي، أبو منصور عبدالملك محمد (-٤٢٩هـ): **يتيمة الدهر**، تحقيق محيي الدين، ط٢، مصر ١٩٧٣.

١٧ - الثعلبي، محمد بن إبراهيم (-٤٢٧هـ): **قصص الأنبياء**، المكتبة الثقافية، بيروت، د. ت.

١٨ - **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** (للرماني والباقلاني والجرجاني) تحقيق محمد أحمد خلف ومحمد زغلول سلام ط٢، مصر، ١٩٦٧.

١٩ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (-٢٥٥هـ):

- **البيان والتبيين**، تحقيق طه الحاجري، ط١ القاهرة، ١٩٦٣.
- **التربيع والتدوير**: تحقيق شارل بلا، ط١ دمشق ١٩٥٥.
- **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣ القاهرة، ١٩٦٥.
- **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون، ط١ القاهرة، ١٩٦٤.

٢٠ - الجرهمي، عبيد بن شرية (نحو ٦٧هـ): **أخبار عبيد بن شرية، ذيل كتاب التيجان لوهب بن منبه**، ط٢ صنعاء، ١٩٧٩.

٢١ - ابن الجوزي، أبو الفرج علي بن عبد الرحمن (-٥٩٧هـ):

- تلبيس إبليس، ط١ المطبعة المنيرة بالقاهرة، ١٣٦٨هـ.
- القصاص والمذكرون، تحقيق مارلين سوارتز، ط١ بيروت، ١٩٨٦.

٢٢ - جمال الدين أحمد: **القصص الرمزي في القرآن الكريم**، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨.

٢٣ - الحاتمي، محمد بن الحسن (- ٣٨٨هـ): **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**، تحقيق جعفر الكتاني، بغداد، ١٩٧٥.

٢٤ - حاجي خليفة (-١٠٦٧هـ): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (مع ذيوله)، مصورة دار المثنى ببغداد، د. ت.

٢٥ - الحنبلي، أبو بكر (-٨٨٣هـ): **كتاب الأوائل**، مخطوط، ضمن مجموع برقم ٩٣٦٨، الأوراق ٩٧ب - ١١٥ أ، برلين.

٢٦ - الحموي، ياقوت (-٦٢٦هـ): **معجم الأدباء**، تحقيق فريد الرفاعي، ط١ مصر، ١٩٣٨.

٢٧ - خلف الله، محمد أحمد: **الفن القصصي في القرآن**، ط٢ القاهرة، ١٩٥٧.

٢٨ - ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد (-٦٨١هـ): **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس ط١ بيروت، ١٩٧١.

٢٩ - **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة الشنتاوي وخورشيد ويونس، ط١، مصر، ١٩٣٣.

٣٠ - ابن الداية، أحمد بن يوسف (-٣٤٠هـ): **المكافأة والعقبى**، ط١ القاهرة، ١٩١٤.

٣١ - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨هـ): **سير أعلام النبلاء**، تحقيق الأرناؤوط والأسد ط١ دمشق، ١٩٨٨.

٣٢ - الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحق (-٣٣٧هـ) **الأمالي**، تحقيق عبدالسلام هارون، ط١ مصر، ١٣٨٢هـ.

٣٣ - الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ط٥ بيروت، ١٩٨٠.

٣٤ - السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (-٩٠٢هـ): **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، ط١، القدسي دمشق، ١٩٤٩.

٣٥ - سزكين، محمد فؤاد: **تاريخ التراث العربي**، ترجمة محمود حجازي، ط١ الرياض، ١٩٨٣.

٣٦ - ابن سلام، القاسم (-٢٢٤هـ): **فضائل القرآن**، مخطوط الظاهرية بدمشق، رقم ٧٦١٥.

٣٧ - السمعاني، عبد الكريم بن محمد (-٥٦٢هـ): **الأنساب**، تحقيق عبد الفتاح الحلو، بيروت، ١٩٨١.

٣٨ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (-٩١١هـ): **تفسير الجلالين** (مع جلال الدين المحلي)، ط١ الهاشمية بدمشق، ١٣٨٥هـ.

٣٩ - ابن شرف القيرواني (-٤٦٠هـ): **رسائل الانتقاد**، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، ط١ بيروت، ١٩٨٣.

٤٠ - الشنتمري، الأعلم (-٤٧٦هـ): **مختار الشعر الجاهلي**، تحقيق مصطفى السقا، ط٢ القاهرة ١٩٤٨.

٤١ - ابن شهيد الأندلسي (-٤٢٦هـ): **التوابع والزوابع**، تحقيق بطرس البستاني، ط١ بيروت ١٩٥١.

٤٢ - شيخ موسى، محمد خير:
- **فصول في النقد العربي وقضاياه**، ط١ الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٣.
- **فن القصة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤.

٤٣ - الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (-٣٣٥هـ):
- **أخبار الراضي**، تحقيق هيورث دن، ط٣ بيروت، ١٩٨٢.
- **أخبار الشعراء المحدثين**، تحقيق هيورث دن، ط٣ بيروت ١٩٨٢.

٤٤ - طبانة، بدوي: **السرقات الأدبية**، ط٣ بيروت، ١٩٧٤.

٤٥ – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (–٣٢٠هـ): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ مصر، دار المعارف، ١٩٧٣.

٤٦ – ضيف، شوقي:

– **العصر الجاهلي**، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.

– **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ط٤، القاهرة، ١٩٦٤.

٤٧ – عبد القادر، حامد: **القصص الحيواني وكتاب كليلة ودمنة**، ط١، مصر، ١٩٥٠.

٤٨ – عدي بن زيد العبادي: **ديوانه**، تحقيق عبد الجبار المعيبد، ط١، بغداد.

٤٩ – عرسان، علي عقلة: **الظواهر المسرحية عند العرب**، ط٧ دمشق ١٩٨٥.

٥٠ – العسكري، أبو هلال (–٣٥٩هـ): كتاب **الأوائل**، تحقيق محمد المصري ووليد قصاب، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٠.

٥١ – غرنباوم، غوستاف فون، **دراسات في الأدب العربي**، ترجمة إحسان عباس وجماعة، ط١، بيروت، ١٩٥٨.

٥٢ – فاعور، إكرام: **مقامات بديع الزمان وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ط١ بيروت، ١٩٨٣.

٥٣ – القالي، أبو إسماعيل بن القاسم (–٣٥٦هـ): **الأمالي**، ط١ القاهرة، دار الكتب، ١٩٢٥.

٥٤ – ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (–٢٧٦هـ):

– **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق النجار، ط١، القاهرة، ١٩٦٦.

– **عيون الأخبار**، ط٧ مصورة، دار الكتب بمصر، ١٩٦٣.

– **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٠.

٥٥ – القفطي، جمال الدين (٦٤٦هـ): **تاريخ الحكماء**، مصورة، بيروت، د. ت.

٥٦ – القيرواني، الحصري أبو إسحاق إبراهيم (–٤٥٣هـ): **زهر الآداب**، تحقيق زكي مبارك ومراجعة محيي الدين، ط٣ بيروت، ١٩٧٣.

٥٧ – ابن الكلبي، هشام (–٢٠٦هـ): **الأصنام**، تحقيق أحمد زكي، ط١ القاهرة، ١٩٦٥.

٥٨ – المبرد، محمد بن يزيد (–٣٨٥هـ): **الكامل**، تحقيق محمد أبو الفضل والسيد شحاتة، ط١ القاهرة، ١٩٦٥.

٥٩ – متز، آدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع**، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريدة، ط٣، مصر، ١٩٧٥.

٦٠ – مرتاض، عبدالملك: **فن المقامات**، ط٢، الجزائر، ١٩٨٨.

٦١ – المحلي، جلال الدين: **تفسير الجلالين** (مع السيوطي) ط١ الهاشمية بدمشق، ١٣٨٥هـ.

٦٢ – محمود، عبد الحليم: **القصة العربية في العصر الجاهلي**، ط١، القاهرة، ١٩٨٥.

٦٣ – المسعودي، علي بن الحسين (–٣٤٥هـ): **مروج الذهب**، تحقيق محيي الدين – ط٣، مصر، ١٩٨٥.

٦٤ – ابن المعتز، عبد الله (–٢٩٦هـ): **طبقات الشعراء المحدثين**، تحقيق عبد الستار فراج، ط٣ دار المعارف بمصر.

٦٥ – ابن المقفع، عبدالله (–١٤٢هـ): **كليلة ودمنة**، تحقيق محمد عبدالوهاب عزام، ط٢، بيروت ١٩٨١.

٦٦ – ابن منبه، وهب (–١١٠هـ): **التيجان في ملوك حمير**، ط٢، صنعاء، ١٩٧٩.

٦٧ – ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ): **لسان العرب**، ط١، دار صادر، بيروت، دت.

٦٨ – نالينو، كارلو ألفونسو: **تاريخ الآداب العربية**، ط٢، مصر، دار المعارف، ١٩٧١.

٦٩ – نجم، وديعة: **القصص والقصاص في الأدب الإسلامي**، ط١، الكويت، ١٩٧٢.

٧٠ – ابن النديم، محمد بن إسحق (نحو ٤٠٠هـ): **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد، ط٢ طهران، ١٩٧٣.

٧١ – **نوادر الرسائل**: تحقيق إبراهيم صالح، ط٢، بيروت، ١٩٨٦.

٧٢ – ابن هارون، سهل (-٢١٥هـ): **النمر والثعلب**، تحقيق عبد القادر المهري، ط١ تونس، ١٩٧٢.

٧٣ – ابن هشام المعافري (-٢١٣هـ): **السيرة النبوية**، تحقيق السقا وجماعة، القاهرة، د. ت.

٧٤ – هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**، ط٣، القاهرة، ١٩٧٣.

٧٥ – الهمذاني، بديع الزمان (-٣٩٨هـ):

– **رسائل الهمذاني**، ط١، الجوائب بالقسطنطينية، ١٢٩٨هـ.

– **مقامات الهمذاني**، تحقيق محمد عبده، مصورة، بيروت. د. ت.

٧٦ – ابن وهب، اسحق (نحو ٣٥٠هـ): **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق حفني شرف، القاهرة، ١٩٧٩.

٧٧ – الوشاء، محمد بن إسحق (-٣٢٥هـ): **الموشى**، ط بيروت، ١٣٢٤هـ (مصورة).

٧٨ – يونس، عبد الحميد، **معجم الفولكلور**، ط١، بيروت، ١٩٨٣.